مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد السابع عشر - ربيع الثاني-جمادى الأخرة ١٤٢٧هـ مـايو - يـولية ٢٠٠٦م

١٧

- صفحات من تاريخ الطب والأطباء في المدينة المنورة
- تقرير عن جيولوجية المدينة المنورة
- من التقاليد التراثية في المدينة المنورة
  "أجوبة خطب تسليم المهر"
- الروايات المتعارضة في غزوة بدر جمعاً ودراسة.

Noushad Akambadam

بيرتون وصورة المدينة في رحلته

عام ١٢٦٩هـ / ١٨٥٣م

(القسم الثاني) [١]

د / محمد بن عبد الهادي الشيباني

الجامعة الإسلامية – قسم التاريخ

وصف المدينة

يُقسّم بيرتون المدينة إلى ثلاثة أجزاء: المدينة ذاتها، القلعة، ضاحية المدينة.

يحيط بالمدينة سور بيضاوي غير منتظم، به أربع بوابات:

١ ـ **الباب الشامي**: يقع في الجانب الشمالي الغربي، ويفضي إلى جبل أحد وقبور شهداء معركة أحد ﷺ.

٢ ـ **باب الجمعة**: يقع في السور الشرقي، ويفضي إلى الدرب النجدي ومقبرة البقيع.

٣ ـ **باب الضيافة**: يقع في الشمال بين الباب الشامي وباب الجمعة.

٤ ـ **الباب المصري**: يقع إلى الغرب من السور، ويُفضي إلى سهل (بر المناخة).

لقد شُيّد مبنيان ضخمان، لكل منهما برجان متقاربان على بابي الضيافة والجمعة، ويقيم الجند داخل الأبراج حيث يتوفر الظل والماء، وداخل هذه الأبراج يتسامر الجمّالة (قادة الجمال) والذين لا عمل لهم.

وخلف بوابة الجمعة داخل السور توجد سوق كبيرة في الشارع المؤدي للمسجد، وخارج هذا الشارع توجد سوق الخضْرية (باعة الخضْروات)، وسوق الحبّابة (باعة الحبوب) وتتناثر المقاهي الجميلة.

---

(١) نشر القسم الأول من هذا البحث في عدد سابق.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وهذه الأسواق عبارة عن صفوف طويلة من أكواخ قد اسودّت لطول تعرضها للشمس والريح، ومنظرها حقير وقذر، وبين هذه الأكواخ يوجد سبل ماء، وهي مبان مُقبّبة (لها قباب) مطليّة باللون الأبيض [١].

والسور بحالة ممتازة حيث إنّه مبني من الجرانيت، والكتل الصخرية البركانية المثبّته بالجبس، وقد زوّد السور بعدد من المتاريس، وفتحات ثلاثية الأبعاد حتى يتم إطلاق النار من خلالها، وأبراج نصف دائرية قد زوّدت كذلك بفتحات لإطلاق النار [٢].

---

(١) الرحلة: ٩٦/٢.

(٢) ذكر البكري (المتوفى سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) أنّ أول من بنى سوراً حول المدينة؛ إسحق بن محمد الجعدي، بنى هذا السور عام ٢٦٣هـ؛ وذكر أن له أربعة أبواب: باب في الشرق وراء دار عثمان بن عفان ﷺ، وباب في المغرب يخرج منه إلى بقيع الغرقد ويخرج منه إلى العقيق، وباب من الشمال والمغرب يُفضي إلى مسجد الفتح، وباب آخر يخرج منه إلى قبور شهداء أحد. (الجزيري، درر الفوائد ٦٤٠. وعزاه لكتابه المسالك والممالك، وبعد مراجعتي للجزء المحقق من كتاب المسالك – الجزء الخاص بجزيرة العرب – لم أجد هذا النص، ويظهر أن الحميري نقل هذا النص عن البكري دون أن يصرّح بذلك (الروض المعطار ٤٠١ – ٤٠٢، تحقيق إحسان عباس، مطبعة لبنان، بيروت ط٢/١٩٨٤م)؛ ويبدو أن هذا النص نقله البكري من كتاب الأوراق لأبي بكر الصولي فقد قال: إنه في سنة ٢٦٣ أغارت بنو كلاب على مدينة رسول الله ﷺ فقتلوا رجالا، وسبوا نساءً وصبياناً، فجاء صريخهم إلى بغداد فتولى البزاز وكان صالحاً عدلاً تجميع الأموال لتحصين المدينة، فبعث المال إلى المدينة، وبني السور. (انظر: تعليق حمد الجاسر على كتاب المغانم المطابة للفيروزبادي ١٩٠، دار اليمامة، الرياض، ط١/١٣٨٩هـ)؛ وينفرد إبراهيم رفعت باشا بالقول: إن أول من قام بعمل السور حول المدينة هو محمد بن إسحاق الجعدي عام ٢٣٦، ولعل هذا تحريف في الطباعة (مرآة الحرمين ٤١٠/١، دار المعرفة، بيروت)؛ (عبدالقدوس الأنصاري، آثار المدينة١٦٩، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ط٤/١٤٠٦هـ)؛ علي حافظ، فصول من تاريخ المدينة٣٧ – ٣٨، شركة المدينة للطباعة، جدة، ط٢/١٤٠٥هـ).

ويذكر بعض مؤرخي المدينة كالمطري (التعريف ٧٣، المكتبة العلمية، المدينة، ١٤٠٢هـ)؛ والمراغي (تحقيق النصرة٢٣٩، تحقيق: عبدالرحيم عسيلان، ط١/١٤٢٢هـ)، والفيروزبادي(المغانم المطابة ١٩٠)، والعباسي، (عمدةالأخبار١٤٥، تحقيق حمد الجاسر، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ط٤)، ويرون أن أول

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

من بنى سوراً حول المدينة هو عضد الدولة البويهي بعد ٣٦٠هـ؛ ولكن الرحالة المسلمين ذكروا سورا يحيط بالمدينة قبل عهد عضد الدولة البويهي، فهذاالاصطخري المتوفى عام ٣٤٦هـ/٩٥١م فقد قال: "وأما المدينة أقل من نصف مكة ... وعليها سور والمسجد في نحو من وسطها... ومصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يصلي فيه الأعياد في غربي المدينة داخل الباب، وبقيع الغرقد خارج باب البقيع في شرقي المدينة"(المسالك والممالك ١٨، تحقيق: دي خويه، طبعة ليدن، هولندا، ط١/١٩٢٧م)، وكذلك تلميذه ابن حوقل المتوفى عام ٣٦٧هـ/٩٧٧م(في كتابه: صورة الأرض ٣٧، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط١/١٩٧٩م)؛ قال المقدسي المتوفى سنة ٣٨٠هـ: والمدينة هائلة الأبواب ولها أربعة أبواب، باب البقيع، وباب الثنية، وباب جهينة، وباب الخندق والخندق من نحو مكة، عامرة الحصن مشرّفة. (أحسن التقاسيم٨٢، تحقيق: دي خويه، مطبعة بريل، هولندا، ط١/١٩٠٦م)

ثم تهدم السور الذي بناه عضد الدولة البويهي وخرب لخراب المدينة، ولم يبق الا آثاره قبلى جبل سلع، كما ذكر ذلك: المطري (التعريف٧٣)؛ والمراغى (تحقيق النصرة ٢٣٩)، والفيروزبادي (المغانم المطابة ١٩٠)، والسمهودي (وفاء الوفاء ٧٦٦/٢).

ثم جدّد الوزير جمال الدين محمد بن أبي المنصور الجواد الأصفهاني سورا محكما على رأس ٥٤٠هـ، وبعد أن كثر الناس خارج السور، وفي أثناء زيارة السلطان الملك العادل نور الدين محمود زنكي في سنة ٥٥٧هـ، طلب أهل المدينة من السلطان بناء السور لحفظ ماشيتهم وأبنائهم، فأمر ببناء السور المحيط بالمدينة، وكتب اسمه على باب البقيع. (ابن خلكان، وفيات الأعيان ١٤٤/٥، تقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١/١٩٧٧م؛ الإدريسي، نزهة المشتاق١٤٣/١، مكتبة الثقافة الدينية، تونس، ١٤٢٢هـ؛ المطري، التعريف٧٤، المراغي، تحقيق النصرة٢٤١).

قال الرحالة ابن جبير حينما زار المدينة عام٥٧٩هـ: "وللمدينة أربعة أبواب، وهي تحت سورين، في كل سور باب يقابله آخر، الواحد منها كله حديد، ويعرف باسمه باب الحديد، ويليه باب الشريعة ثم باب القبلة، وهو مغلق، ثم باب البقيع". (رحلة ابن جبير ١٧٥، دار صادر).

وذكر المراغي: أن السور قد جُدّد في سنة ٧٥٥هـ، في أيام الملك الصالح صالح أحد أولاد الشهيد الملك الناصر محمد بن قلاون صاحب مصر. (مصدر سابق ٢٤٢)؛ وقد نقل عنه السمهودي في وفاء الوفاء ٧٧٠/٢؛ والعباسي، عمدة الأخبار ١٤٦.

وبعد استيلاء الدولة العثمانية على الحجاز، قام السلطان سليمان القانوني عام ٩٣٩هـ ببناء سور المدينة الذي استمرّ قائما حتى إزالته في العهد السعودي الحديث، وقد بُني هذا السور على أساس السور القديم، واستمر العمل فيه سبع سنوات حيث انتهى العمل منه في عام ٩٤٦هـ (العباسي، مصدر سابق ١٤٧). وله خمسة أبواب: الباب الذي يخرج منه إلى البقيع ويعرف بباب البقيع وباب الجمعة، وكان مكتوبا على هذا الباب "جدّده السلطان سليمان سنة ٩٤٥هـ. والسلطان محمد خان بن إبراهيم خان سنة ١٠٧٨هـ، وهذا

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وخارج السور من الناحية الغربية - جهة العنبرية - توجد التَّكيّة المصرية التي أقامها محمد علي، وهو مبنى جميل على الطراز التركي له قباب ومآذن، وتقدم التَّكية خدماتها للمسافرين [١] وخاصة الدراويش [٢].

مكتوب بالنحاس، وعمّره السلطان محمود سنة ١١٦٢هـ". ويلي هذا الباب من الشمال باب محدث يسمى الباب المجيدي عند دار الضيافة، وفي الشمال الغربي الباب المقابل لجبل سلع بين منتهى السور من هذه الجهة وبين القلعة ويعرف بالباب الشامي، ويليه من الغرب الباب الصغير وهو في جنوب القلعة الغربي، ثم الباب المصري في منتصف الجهة الغربية، وقد فتح هذا الباب محمد علي باشا بعد حروبه مع الدولة السعودية الأولى، وتعميره للسور الداخلي، وقد عمّر هذا السور أيضاً السلطان عبد العزيز سنة ١٢٨٥هـ، وجعل ارتفاعه نحو ٢٥ متراً وبنى فيه ٤٠ برجاً تشرف على ضواحي المدينة للدفاع عنها، وفي هذا السور كثير من المزاغل، وأبراجه مشحونة بالمدافع والذخائر الحربية.

وفي غربي هذا السور سور آخر أوسع منه يحيط بالبيوت التي خارج السور الأول في غربه وجنوبه ويبتدئ من البقيع في الجنوب الغربي وينتهي بالقلعة التي أنشأها السلطان سليمان بن السلطان سليم في سنة ٩٣٩هـ، وذلك في الجهة الشمالية، وله خمسة أبواب: بابان عند البقيع يعرف أحدهما بباب العوالي لأنه يخرج منه إليها، ويلي هذين البابين من الجنوب باب السد أو باب قباء لأنه يخرج إليها منه، وفي الغرب باب العنبرية يخرج منه إلى الحرة والى وادي العقيق، ويسمى أيضا بالباب الحميدي لأن السلطان عبد الحميد جدّده وزاد في السور من ذلك في سنة ١٣٠٥هـ، وهذا الباب من السور الخارجي والباب المصري من السور الداخلي عليهما العمل في دخول القوافل وخروجها، وفي نهاية السور الخارجي عند القلعة يوجد باب الكومة وهو يقابل سلعاً، وهذا السور مبني من اللبن والطين ومجصص، ويظهر أنه في موضع السور الذي بناه إسحاق بن محمد الحعدي، والمشهور بين أهل المدينة أنهم الذين بنوه زمن الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، وقد تهدّم كثير من هذا السور، وبين السور الداخل من الغرب والبيوت التي في غربيه براح متسع يبلغ متوسط عرضه ٤٠٠ متراً اشتراه بعض ملوك آل عثمان ووقفه ومنع البناء فيه وجعله محطاً للحجاج والقوافل، ومناخاً لمطيهم فسمي بذلك بالمناخة، ثم أطلقت المناخة على مابين السورين من فضاء وبناء، وأصبحت كبلدة مستقلة تقام فيها الجمعة ولا تعاد. (مرآة الحرمين١/٤١٣ – ٤١٤)؛ (محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية٢٦٣ – ٢٦٤، مكتبة المعارف، الطائف)

(١) طولها ٨٩ متراً وعرضها ٥٠ متراً، وفي التكية مخازن وأفران ومطبخ، ويأتي لها القمح والأرز ومايلزم لها من ديوان الأوقاف بمصر، وكذلك ما لناظرها وموظفيها من المرتبات، وهم معيّنون من قبل الحكومة المصرية، ويرد اليها الفقراء يومياً ليأخذوا الخبز والشربة، ويصل حد الانفاق أحياناً الى ٨٠٠ فقير يومياً، وتقدّم التكية أحياناً اللحم، إضافة إلى السمن، والأرز، والدقيق. (مرآة الحرمين ١/٤٢٤؛ الرحلة الحجازية ٢٦٤).

(٢) الرحلة ١٢/٢، ٩٨؛ قارن بما ورد عند بوركهارت، رحلات في شبه الجزيرة العربية ٢٩٦ - ٢٩٩، ترجمة: عبدالعزيز الهلابي – عبدالرحمن الشيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١/١٤١٣هـ.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وإلى اليمين منها صفّ طويل من مبان منخفضة مطليّة باللون الأبيض، ولها نوافذ مربعة أشكالها ويعوزها الجمال [١].

وإلى الشمال من التكية المصرية يقع مبنى الحاكم التركي، وهو رائع التصميم، مُقام على نسق نظام الأجنحة التركي.

وفي الزاوية الشمالية الغربية من السور يقع حصن مرتفع مطلي باللون الأبيض، وقد شيّد جانب منه فوق كتل صخرية

وتصل القلعة ضلعي الزاوية الشمالية الغربية للمدينة، وجدارها الذي يُمثّل تحصيناتها الشرقية قد ثقب، ليمكن الوصول إلى ساحة تناثرت فيها المدافع والأدوات الحربية بين ضاحية المناخة، والباب الشامي، وحيث إنهم قد رفضوا إدخالي للحصن، فليس بإمكاني أن أصفها إلا من الخارج.

لقد أُقيم البرج المحصن على صخرة داخل الحصن، ويرفرف عليه بخيلاء علم عليه هلال ونجمة [٢].

لقد صُوّبت مدافع الحصن إلى كل اتجاه خاصة ناحية المدينة، وتتكون حامية الحصن من أربعمائة جندي ومقاتل مشاة، بقيادة باشا تمتد سلطته إلى حوالي السنجق المكوّن من حوالي خمسمائة من الأكراد والألبان، الذين تتركّز مهامهم في حماية القوافل وتوصيل الأموال والأرزاق إلى أهل المدينة [٣].

---

(١) الرحلة ١٢/٢

(٢) الرحلة ٩٨/٢؛ قارن بما عند بوركهارت: ٣٠١.

(٣) حينما تحدّث: محمد بن خضر الرومي الحنفي عن بناء سور المدينة بأمر من السلطان العثماني سليمان القانوني قال في سنة ٩٤٤هـ: ووصل في هذا العام من البحر عسكر نحو ستون نفراً رماة بالبنادق، وجعل عليهم (باش) ويسمى (دزدار) فوصلوا إلى المدينة المنورة في أوسط سنة ٤٤٩هـ، واستمرّوا مقيمين في المدينة، وكانت القلعة حينئذ لم يشرع في بنائها، ثم أن الأمين مصطفى جلبي أتم باقي السور وباب البقيع، وهدم

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وكعادة الشرقيين فإنّ أهل المدينة يفاخرون بقلعتهم التي لايمكن أن تصمد أمام قليل من القذائف، وبطارية مدفعية واحدة.

وإلى الشمال من القلعة يوجد مبنى مستطيل متعدد النوافذ كان فيما مضى قصراً لداوود باشا، وعلى أيامي اشتراه عباس باشا المصري، وتقع الضواحي إلى الجنوب والغرب من المدينة، فإلى الجنوب يفصل الضواحي عن السور طريق عريض يطلقون عليه درب الجنازة، وقد سُمي بهذا الاسم لأن جثث المنشقين أو الخارجين على القانون، الذي يتحتّم عدم مرور موكبها داخل المدينة، سلْك هذا الطريق لتدفن في المقابر المخصصة لها بالقرب من باب الجمعة (الباب الشرقي).

أما من ناحية الغرب فيقع بين المدينة وضاحيتها سهل المناخة (ومعناها مكان إناخة الإبل)، وهذه الضواحي تحيط بالسور، وكلها تجمعات مسوّرة بطين أو متاريس من طين غير مثبت من جص/جبس أو اسمنت، وأقاموا أبراجاً صغيرة ومستديرة وكلها اعتراها الخراب[1]؛ والبوابة الوحيدة الكبيرة نسخة

القلعة القديمة، وكانت مبنية على هيئة القاعة من غير أبراج، ثم ان الأمين المذكور غيّرها وأحكم بناها، وشيد أبراجها، وأحدث لها جداراً وباباً من داخل المدينة المنورة، وجعل البناء محيطاً بها، وجعل بيوتاً للعسكر في داخلها، وجعل بيتاً لنائب القلعة على الجبل الذي هناك في محل القلعة، وذرع دائر القلعة من الباب الشامي الكبير الى الباب الصغير خمسمائة وثمانية عشر ذراعاً، وذرع الجدار الشرقي لها من داخل المدينة مائة وستون ذراعاً. (التحفة اللطيفة في عمارة المسجد النبوي وسور المدينة٨٩، منشور ضمن كتاب: رسائل في تاريخ المدينة، قدّم لها وأشرف على طبعها حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، الرياض، ط١/١٣٩٢هـ). وانظر وصفاً للقلعة عند(أوليا جلبي، الرحلة الحجازية، ترجمة وتحقيق، الصفصافي أحمد المرسي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٠هـ).

(١) هذا هو السور الخارجي، وقد قال عنه البتتوني: "وأما سورها الخارجي فليس بذي أهمية تذكر، وهو مهدّم في كثير من جهاته" (الرحلة الحجازية ٢٦٤).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بائسة من باب النصر في القاهرة، ويُسمى مدخل العنبرية أو المدخل الغربي [١].

والطريق المؤدي من العنبرية إلى المناخة واسع ولكن البيوت المتهدمة كثيرة، وهناك جسر مقوّس مقام على بطن سيل السيح.

وشوارع المدينة مظلمة وضيّقة، وليست مرصوفة إلاّ في مواضع قليلة – وهو أمر يبعث على الاستنكار – و أفضل الطرقات تلك التي تؤدي للمسجد [٢].

ولا توجد بالمدينة خانات (فنادق) ولذا يعمد المسافرون إلى استئجار منازل بمبالغ باهظة، أو ينصبوا خياماً ويتحمّلوا أعباء الإرهاق، والإزعاج البالغ.

المنازل في الحرة الشرقية حسنة البناء تتكوّن من طابقين، والمواد المستخدمة في البناء هي البازلت، والطوب الأحمر، وجذوع النخيل والمشربيات شائعة هنا، والنوافذ عبارة عن فتحات في الجدران وبها قطع خشبية لإغلاقها[٣].

وفي المدينة ما بين خمسين إلى ستين شارعاً، وفيها قريباً من العدد نفسه من الأحياء، ويوجد داخل المدينة قليل من المنازل المتهدّمة الخَربة [٤].

والأحياء جنوب المدينة عبارة عن تجمّعات من القرى المسوّرة، تتخلّلها المزارع والبساتين، وقد خُطّطت هذه القرى على شكل أحواش[٥]، ويضم الحوش عدة

(١) الرحلة ٩٩/٢؛ قارن بما عند بوركهارت: ٣٠١ - ٣٠٢.

(٢) الرحلة ٩٧/٢، "وحارات المدينة ضيقة، لا يزيد عرض الواحدة عن المترين، وشوارعها لا تزيد على أربعة، وأحسنها شارع غرب المسجد النبوي يسمونه حارة الساحة، وهو أطول الشوارع، وفيه أجمل المباني وبه دار المحافظة، والشارع الموصل للمسجد من جهة باب السلام مبلط بالأحجار، ولكن أرضه غير مستوية... " (مرآة الحرمين ٤١٠/١).

(٣) الرحلة ٩٧/٢.

(٤) الرحلة ٩٨/٢.

(٥) وأغلب حارات المدينة يسمونها لضيقها أزقة: منها في شمال الحرم: زقاق البقر، وزقاق الخياطين، وزقاق الحبس، وزقاق عنقيتي، وزقاق السماهيدي، وزقاق البدور، وزقاق الأغوات، وفي جنوبه زقاق ياهو، وزقاق

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

شقق (مساكن) من طابق واحد تفتح على ساحة مكشوفة، ولكل حوش باب خشبي متين يُغلق ليلاً لمنع السرقة، وتمكين السكان من الدفاع ببسالة عن منازلهم.

ومعظم هذه الأحواش من البدو المستقرين ومن المنشقّين (الشيعة) وخلف هذه الأحياء إلى الجنوب وإلى الشمال الشرقي، توجد بساتين ومزارع نخيل واسعة [١].

ولا بد من التنويه هنا إلى أن العرب ليس لديهم إلاّ فكرة بسيطة عن الفخامة والأُبهة في مجال العمارة سواء بالنسبة للمباني العامة أو الخاصة [٢].

وصف المسجد النبوي الشريف

يشاهد المرء عن بعد جوهرة المدينة ودرتها، إنها الأبراج الأربعة (المآذن والمنارات) المرتفعة، ذوات البناء المكين، والقبّة الخضراء المتألّقة التي دُفن الرسول ﷺ تحتها [٣].

وكما هو الحال في مكة فإن الزائر عندما يقترب من المسجد يُصدم بالمباني القبيحة، بل إنّ بعض هذه المباني تلامس بالفعل سور المسجد، والبعض يفصل بينها وبين سور المسجد ممر ضيق، وليس للمسجد النبوي واجهة خارجية، ولا يمكن للمرء أن يُلقي عليه نظرة شاملة، لذا فإن مبنى المسجد لايوحي بالجمال أو الجلال [٤].

الكبريت، وزقاق القماشين، وزقاق حيدر، وزقاق الحجامين، وزقاق مالك بن أنس الخ. (مرآة الحرمين ٤١٠/١، الرحلة الحجازية ٢٥٤).

(١) الرحلة ١٠١/٢.

(٢) الرحلة ١٠٠/٢؛ العبارة مقتبسة من بوركهارت: ٣٣ – ٣٠١.

(٣) الرحلة ١٢/٢، عُملت هذه القبة سنة ٦٧٨هـ، في أيام الملك المنصور قلاوون الصالحي، ثم جدّدت في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، ثم جدّدت وأُحكمت في أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد في سنة ٧٦٥هـز(المراغي، مصدر سابق ١٢٦).

(٤) الرحلة ٣٠/٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وعند دخولي من باب الرحمة صعدت بضع درجات صغيرة، واعترتني الدهشة، بسبب المظهر المتواضع الخالي من الذوق لهذا المكان، الذي يحظى بالتبجيل والتوقير في مختلف أنحاء العالم الاسلامي [١].

كما أنه ليس هناك أي تناسق في أشكال هذه المآذن الأربع ولا في أحجامها، فمن النظرة الأولى يبدو عدم التناسق بينها، وأنها ليست في مواضعها[٢].

والأعمدة التي تحمل السقف، وتدعم البناء، مصنوعة من مواد مختلفة، فبعضها من الرخام الجميل، وبعضها من الأحجار الخشنة المجصّصة، والمزيّنة بزخارف عربية تنم عن ذوق سليم للغاية، وبقع وأشرطة من اللونين القرمزي والأسود كوجه المهرج اللندني في واجهة المسرح!!! [٣].

الأروقة الأربعة للمسجد النبوي تطل على صحن متوازي الأضلاع فيه مساحة مربعة مسوّرة بسور خشبي وقد رشت بالماء جيداً، وتسمى هذه الساحة بستان فاطمة الزهراء، تضم اثنتي عشرة نخلة، وعلى أيّام ابن جبير [٤] كان هناك خمس عشرة نخلة يرسل الأغوات ثمارها هدية للسلطان وكبار المسلمين، وينظر العامة لها بتقدير شديد، وبين النخيل تنمو شجرة سدر تباع

(١) الرحلة ٣٠/٢.

(٢) الرحلة ٥٤/٢، أول من أحدث هذه المنارات عمر بن عبد العزيز في عام ٩١هـ، حينما أمر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بإعادة بناء المسجد النبوي، ثم توالى فيما بعد تجديد وإعادة بناء هذه المنارات. (وفاء الوفاء، ٥٢٦/٢).

(٣) الرحلة ٥٥/٢.

(٤) لم أعثر عليها في رحلة ابن جبير، وانظر وصف المسجد النبوي عند (ابن جبير ١٦٨ – ١٧٣).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ثمارها بمبالغ باهظة[١]، وأضواء المسجد في الليل مبهرة من جراء أضواء المصابيح الزيتية [٢].

وهناك بعض أماكن المسجد مغطاة بحصر خشنة وفوقها سجاجيد غير نظيفة، بليت تماما بفعل المشي عليها [٣].

(١) الرحلة (٥٦/٢ – ٥٧)، قال السمهودي: "وبصحن المسجد نخيل مغروسة، ولم أدر ابتداء حدوث ذلك، إلا أن ابن جبير قال في رحلته عند ذكر القبة التي بصحن المسجد ما لفظه: وبإزائها في الصحن خمس عشرة نخلة اهـ. قال البدر ابن فرحون: إن أول من أدرك من مشايخ الخدّام الشيخ عزيز الدولة، قال: وفي أيامه غرس كثير من هذا النخل الذي بالمسجد اليوم، وكان منه شيء قبل العزيزي (ت ٧٠٠هـ)، ومات أكثره. ا. هـ. (نصيحة المشاور ق ٣١، مكتبة عارف حكمت رقم: ٩٠٠/٢٥٦) قال السمهودي: وذكر المجد عزيز الدولة وقال: إن غرس أكثر هذا النخل كان في زمانه، ثم قال: وكأنه لم يتعرض أحد لإنكار هذه البدعة إجلالاً لشأنه، أو خوفاً من لسانه، أو تمكيناً له من الاقتداء بمن غرسه قبله وخنق في عنقه من هذا المنكر حبله، وقد انجعفت تلك النخيل لهبوب عاصفة هبّت في أواخر مشيخة ياقوت الرسولي، ثم أعيد الغراس، ووقع الإنكار من بعض الناس، لكن لم يصادف كلامه محلاً من الإشارة والإفادة، ولعله سوغ حملاً على احتمال أنه لم يغرس أولاً إلا بنوع من الاستحقاق، لكن لا يخفى ما في اعتماد الاحتمال البعيد من قلة التقى. قلت: وقد أراد طوغان شيخ أن يزيد فيه سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة، فأنكرت ذلك، وقام بعض أهل الخير في المنع منه، فبطل ذلك ولله الحمد ". (وفاء الوفاء ٦٨٢/٢ - ٦٨٣). قال علي موسى الأفندي في وصف المدينة المنورة عام ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م: وفي صحن الحرم الشريف حديقة صغيرة فيها نخيلات وسدرة... والحديقة المذكورة حدثت في الحرم الشريف من نحو الستين عام لا غير، وتمر نخلها يقتسموه الأغوات، ويبعثوا منه في علبة كل سنة طعمة للسلطان كائناً من كان". (وصف المدينة المنورة ٦٢ - ٦٣، المنشور ضمن كتاب رسائل في تاريخ المدينة، قدم لها وأشرف على طبعها حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ط١/١٣٩٢هـ).

(٢) الرحلة ٣٧/٢.

(٣) الرحلة ٣٣/٢؛ قارن بما ذكره بوركهارت: ٣١٦، قال علي بن موسى: وأما فرش الحرم الشريف ففرشه في الصيف من الحصير الذي يرد من مصر وقدره أربعمائة حصيرة في كل عام، يعطي منها بعد كفاية الحرم الشريف للمساجد السائرة، وللزوايا ولبعض الذوات، وفرش للشتاء من المفارش الزل القطيفة الكبار المثمّنة، وقد عمل عبد الواحد الميمني للصيف وفرشا أزرقا من القطن شغل الهند يفرش فوق الحصير". (مصدر سابق ٦٥).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المجتمع المدني

أ - سكان المدينة:

هناك في المدينة أربع أسر مشهورة ومعروف نسبها وهم:

١ - بيت الأنصاري: ينسبون إلى أبي أيوب الأنصاري ومنهم أئمة الحرم، لكن الأسرة لم تعد قوية أو ذات نفوذ.

٢ - أسرة (أبو الجود) ومنهم الأئمة والمؤذنون في الحرم المدني، ولم يبق منهم سوى ولد وبنت.

٣ - بيت الشِّعَّاب: وعددهم كبير، وبعضهم احترف الترحال، وآخرون منهم يعملون في مجال التجارة، والبعض منهم مُعيّنون في الحرم.

٤ - بيت القرايفي: ويعملون بشكل أساسي في التجارة [١].

وعائلة السمان كثيرة العدد ذات نفوذ وافر [٢]، وثمة جماعة أخرى يقال لهم: النخاولة (جمع نخولي) وهم شيعة ولهم علماؤهم الخاصين بهم، وتزاوجهم فيما بينهم، وهم يخضعون للقاضي السني، ويمارسون أعمال الزراعة، والنظافة، والجزارة [٣]، ولايسمح لهم بدخول الحرم [٤]، ولهم مقبرة بجوار البقيع، وهم يتزاوجون مع الفرس الشيعة بما يسمى نكاح المتعة [٥].

---

(١) الرحلة ٣٩/٢؛ ولمعرفة أنساب هذه الأسر وغيرها من سكان المدينة يراجع كتاب: الأنصاري، تحفة المحبين، تحقيق: محمد العروسي، المكتبة العتيقة، ، تونس، ط١/١٣٩٠هـ؛ ومرآة الحرمين٤٣٩/١.

(٢) الرحلة ١٨/٢، نسبة لبيع السمن، وكان أبوهم أحمد بن عبدالله الحجازي الثقفي قدم إلى المدينة في حدود سنة ١٠٥٠هـ. (تحفة المحبين ٢٧٨).

(٣) الرحلة ١٤٠/٢.

(٤) ربما كان هذا المنع في عهد المؤلف، أما اليوم فالحرم مفتوح لكل مسلم من مشارق الأرض ومغاربها.

(٥) الرحلة ١٢١/٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويكثر السادة والأشراف وهم سلالة النبي ﷺ، ولبني حسين من أهل المدينة أحياء رئيسية في السويرقية [١]، ففي المدينة ست أسر أو سبع، وفي السويرقية ثلاث وتسعون أو أربع وتسعون. وفيما مضى كانوا أكثر عدداً وأشد نفوذاً، فقد ظلوا لقرون يتولون مسؤولية الإشراف على قبر النبي ﷺ، وهم يتعيشون من أملاكهم التي ورثوها من أوقافهم الكثيرة، ويعيشون في المدينة في حوش ابن سعد إلى الجنوب من درب الجنازة [٢]، ويُدخل موتاهم إلى الحرم، ويُصلّى عليهم، ويُدفنون في البقيع على اعتبار أنهم سنة، وحتى الشيعة منهم فإنهم يحتفظون برفضهم (تشيعهم) سرّاً دفيناً، ويعتقد معظم المتعلمين أنهم شيعة كالفرس [٣].

ويرتدون كوفية على الرأس وعباءة واسعة الأكمام يلبسون فوقه قميصاً أبيض من قطن، ومتقلدي سيوفهم دائماً [٤].

---

(١) السويرقية: أسمها قديما (السوارقية) قرية أبي بكر بين مكة والمدينة، وهي نجدية، وكانت لبني سليم، كانت مشهورة الزراعة(ياقوت، معجم البلدان ٢٧٦/٣، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ). وهي إلى يسار الطريق من المدينة إلى مكة، قبل المهد.

(٢) الرحلة ١٤١/٢.

(٣) الرحلة ١٤٢/٢ قال عنهم بوركهارت ٣٤١ - ٣٤٢: (... كان لقبيلة بني حسين فيما مضى قوة ونفوذ فائقان في المدينة، إذ كانوا يحصلون على جل الدخل المالي لمسجد الرسول ﷺ، ففي القرن الثالث عشر – وفقاً لما ذكره السمهودي – كان لقبر الرسول أوصياء مميزون. أما في الوقت الحاضر فقد تقلّص هؤلاء الأوصياء إلى حوالي اثنتي عشرة أسرة لازالت تعد من بين الأسر النبيلة في المدينة ومن بين أكثر سكانها ثراء، وتشغل هذه الأسر حيّاً خاصاً بها، وتحقق مكاسب هائلة خاصة من الحجاج الفرس الذين يفدون إلى المدينة، وتُوصف هذه الأسر بشكل عام بأنها من أهل البدع، بمعنى اعتقادها نفس عقائد الفرس في علي بن أبي طالب، كما يُتهم أفراد هذه الأسر بأنهم يمارسون شعائر على نحو سري، وإن كانوا يتظاهرون بأنهم من أنصار عقائد السنة. غير أن في هذا القول (التقرير) تعميماً شديداً، إذ يشكك فيه عدد كبير من خيار الناس، ولكن بني حسين ذوي النفوذ الفائق في المدينة يتبعون ظاهرياً عقائد السنة بشكل صارم ولذا فإن أحداً لا يتعرّض لهم بأذى).

(٤) الرحلة ٢/١٤٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويوجد حوالي مائتي أسرة من السادة العلوية من سلالة علي بن أبي طالب من زوجاته غير فاطمة الزهراء، وليس لهؤلاء ما يميزهم عن سائر الناس في اللباس أو المظهر، وهم إما يعملون في وظائف بالمسجد النبوي أو يشتغلون بالتجارة.

وأما أسرة العباس فلم يعد منهم سوى أسرة واحدة وهم بيت الخليفة، ويعمل أفراده كأئمة في الحرم النبوي، ويتولون أمور قبر حمزة.

أما بقية أهل المدن فأخلاط من سائر الأمم الإسلامية [١]، والعناصر الحاكمة في المدينة الآن هم الصوفات جمع صوفته، وهم أنصاف أتراك فآباؤهم ترك وأمهاتهم عربيات.

وبالإضافة إلى الأسر التركية نجد أسراً من المغرب والتكارنة، وأسراً مصرية بأعداد كبيرة، ومن اليمن، وباقي الجزيرة العربية، وسوريين وأكراداً، ومن أفغانستان وداغستان والقوقاز، ونجد عدداً قليلاً من الجاويين [٢].

ويحتل الأحناف المرتبة الأولى في المدينة، رغم أن معظم أهل المدينة وكل البدو غالباً من أتباع المذهب الشافعي [٣].

ب - عدد سكان المدينة:

تقدر أفضل المصادر تعداد سكان المدينة بما يقارب (١٥٠٠) نسمة داخل السور، وألفاً خارج السور، وأظن أن كلا التقديرين مبالغ فيه [٤].

---

(١) الرحلة ١٤٢/٢؛ بوركهارت: ٣٤٢ – ٣٤٣.

(٢) انظر ذلك مفصلاً في كتاب تحفة المحبين.

(٣) الرحلة ١٤٣/٢، كانت الدولة العثمانية على المذهب الحنفي، وأما أهل الحجاز فقد تأثروا بمصر، وكانوا شافعية.

(٤) الرحلة ٩٨/٢، قال بيرتون: تلقيت بعد ذلك من شارلز كول مساعد القنصل في جدة هذه المعلومات: عدد سكان المدينة يتراوح بين ١٦٠٠٠ و ١٨٠٠٠، عدد أفراد الكتائب النظامية: ٤٠٠، عدد سكان مكة حوالي: ٤٥٠٠٠ عدد سكان ينبع حوالي: من ٦٠٠٠ الى ٧٠٠٠، عدد سكان جدة حوالي ٢٥٠٠ (وأظن التقدير منخفظ جداً) والطائف ٨٠٠٠، ومعظم الحاميات العسكرية في مكة وجدة. وفي الحجاز كله خمس

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ج – وظائف أهل المدينة والوضع الاقتصادي فيها:

يرى أهل المدينة أنهم عنصر مميز، فهم لا يدفعون الضرائب، ويتساءلون مندهشين " ألسنا أولاد النبي؟! أندفع أم تدفعوا لنا؟!"

وكل ملازمي المسجد النبوي يقبضون، مرة من السلطان، ومرة من الأوقاف المنتشرة في العالم الإسلامي.

وإذا أراد المديني السفر فإنه يحصل على أوراق من مدير الحرم تخوّله تلقي مبلغ لا بأس به من المال في إستانبول، ويختلف مبلغ الإكرام كالتالي:

١ - إكرام السادة والأئمة: حوالي ١٢ كيساً أو حوالي ستين جنيهاً إسترلينياً، ويحصل على هذا الإكرام حوالي ٣٠٠ أسرة.

٢ - الخانة دان أو أصحاب الخانات الذين يستقبلون الغرباء مجاناً، ويبلغ إكرامهم ستة أكياس وعددهم مابين مائة ومائة وخمسين أسرة.

٣ - الأهالي ويقصد بهم من لهم بيوت وأسر أو ولدوا في المدينة، ولهم ستة أكياس.

٤ - المجاورون والغرباء المستقرين بالمدينة، فإكرامهم أربعة أكياس [(١)].

كتائب تضم كل كتيبة حوالي ٨٠٠، ويبلغ عدد الرجال المقاتلين حوالي حوالي ٣٥٠٠ مزودين بخمسمائة مدفع و٤٥٠٠ جندي غير نظامي... الخ (الحاشية من رحلة بيرتون ٩٨). لقد قدّر أولي جلبي سكان المدينة عام ١٠٨٢هـ/١٦٧١م، بـ ١٤٠٠٠ (الرحلة الحجازية ١٤٠، ترجمة وتحقيق: الصفصافي أحمد المرسي، دار الآفاق العربية١٩٩٩م).

(١) الرحلة ١٤٤/٢؛ لا نجد هذا التفصيل عند بوركهارت ولكنه قال: إن أسرات كثيرة تعتمد اعتماداً كاملاً على الصرة، وتتلقى مبلغاً يتراوح بين ١٠٠ جنيه و ٢٠٠ جنيه إسترليني في السنة. (رحلة في بلاد العرب٣٤٩)، الحقيقة الناصعة أن الدولة العثمانية أغدقت العطايا والهبات على أهل الحرمين (مكة والمدينة فقط). انظر بالتفصيل بحث عبد اللطيف إبراهيم، وثائق الوقف على الأماكن المقدسة، منشور ضمن كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية ٢٥١/٢، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٧٩م، و بحث مصطفى رمضان، وثائق

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عندما يصل المديني إلى إستانبول يسجل وصوله لدى قنصل بلاده وهو وكيل الحرمين، فتحيله إلى ناظر الأوقاف الذي يحيل الطلب لعدد من موظفي الخزانة، فيتم إرسال المبلغ لوكيل الحرمين الذي يسلّمه بدوره للطالب.

ويقوم بعض المدنيين باستغلال الأثرياء في القاهرة وإستانبول، حينما يقدّمون أنفسهم على اعتبارهم سدنة لقبر النبي ﷺ، ولهم علاقة وثيقة بالمسجد النبوي، فيورد مثالاً على ذلك الشيخ حامد السمّان الذي أخذ أموالاً كثيرة من إستانبول والقاهرة من سيدات الطبقة الراقية، باعتباره رئيساً للشعائر حول قبر النبي ﷺ. ومع ذلك "فلا يؤدي الصلاة أبداً إلا عند الضرورة، للحفاظ على المظاهر والشكليات..." [(١)].

وغالباً ما ينفق المتلقي هذه الأموال في شراء حلي النساء والأسلحة المزينة، ثم يعود إلى المدينة مجاناً، إضافة للإكرام الذي يتلقاه من علية القوم خلال رحلات التسول هذه [(٢)].

أما أهل المدينة الذين لم يسافروا فينتظرون أوقاف الصدقات التي تأتيه كل عام مع قافلة الحج الشامي، وبدون هذه المزايا التي يحظى بها أهل المدينة، فإنهم لا يزيدون عن كونهم فلاحين وبدو [(٣)].

فالحركة التجارية خامدة لأنّ عِلْية القوم يفضّلون الكسل والعمل خدماً في المسجد النبوي، فلم أسمع إلا عن أربع أسر محترمة تعمل في هذا المجال وهي أسر

مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني، منشور ضمن كتاب مصادر تاريخ الجزيرة٢/٢٥٩).

(١) الرحلة ٢/٣٩.

(٢) الرحلة ٢/١٤٤ – ١٤٥.

(٣) الرحلة ٢/١٤٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

العيسوي، وعبد الجواد، والشعَّاب، وأسر أخرى من الشرق؛ وكل هذه الأسر تتاجر في الغلال والأقمشة والمؤن، وربما كان رأسمال أغناها عشرين ألف دولار.

وفي فصل الشتاء تستمر القوافل بلا توقف بين المدينة ومصر؛ لكنها غالباً تضم المسافرين الذين يقصدون زيارة إستانبول أكثر مما تضم التجار الباحثين عن الربح، ويصل القمح إلى المدينة من جدة براً، كما يرد إلى ينبع أو عن طريق ميناء الرايس [١] على البحر الأحمر، ويبعد عن الصفراء يوماً ونصف. وثمة تجارة نشطة للمؤن مع البدو المجاورين للمدينة.

وتمد قافلة الحج الشامي أهل المدينة بأدوات الزينة، ومواد الرفاهية، كالتمباك، والفواكه المجففة، والمربيات والحلويات، والسكاكين وغيرها، والبضائع في الغالب ترد من مصر، واستانبول، وسوريا، وكقاعدة عامة فإنّ أجور العمال مرتفعة جداً [٢].

تنظيم الموظفين في الحرم

شيخ الحرم (طواشيا) تركي واسمه عثمان باشا، عينته إستانبول براتب شهري يصل إلى حوالي ٣٠.٠٠٠ قرش شهريا، ونائب الحرم طواشي أسود، وهو رئيس الأغوات [٣]، يتقاضى راتبا قدره ٥٠٠٠ قرش، والموظفون الأساسيون في هيئة مسجد الحرم النبوي هم تايفور آغا عبد أسماء سلطانة أخت السلطان السابق محمود.

---

(١) الرايس أقيم على أنقاض الجار، ميناء المدينة القديم (الجاسر، في شمال غرب الجزيرة٢٠٧، منشورات دار اليمامة، الرياض، ط٢/١٤٠١هـ).

(٢) الرحلة ١٤٥/٢، أورد بيرتون تفصيلاً بالأسعار (انظره في الحاشية ١٤٦ – ١٤٧).

(٣) جمع أغا، ومعناها بالتركية الرجل العظيم، وأغوات الحرم هم الخصي من العبيد القائمين على خدمة المسجد النبوي، وإذا أطلق الأغا بالمدينة المنورة فالمراد به شيخ الحرم النبوي، وأول من استخدمهم في

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والمسئول الأول عن الأموال هو مدير الحرم الذي يتعين عليه أن يراقب الخازندار الذي يتقاضى راتباً قدره ٢٠٠٠ قرش، والمستلم هو رئيس الكتبة ويقوم بتدوين أموال المسجد وراتبه ١٥٠٠ قرش، ويخضع لرئاسته النقيب وهو مساعد له وراتبه ١٠٠٠ قرش.

وهناك ثلاث أغوات (طواشية) يتلقى الواحد منهم مبلغا يتراوح بين ٧٠٠ و١٠٠٠ قرش شهرياً، ويبلغ عدد الأغوات (الطواشية) حوالي ١٢٠ أغا وهم فئات ثلاث:

البوابون: ومهمتهم فتح أبواب المسجد النبوي، **والخبزية**، وهم يكنسون أكثر المواضع في المسجد قداسة، **والبطالون**: ينظفون المكان من القاذورات، ويضربون النائمين في المسجد، وهم يستخدمون العصي في تنفيذ واجباتهم هذه، ويتلقون هدايا مفروضة من كل زائر بمجرد أن يقدموا له التحية المعتادة، أو مقابل امتيازات بسيطة كالسماح للغرباء بإضاءة المصابيح أو كنس الأرضية،

المسجد النبوي والمسجد المكي صلاح الدين الأيوبي، وفي عهد الدولة العثمانية أصبحت لهم مكانة مرموقة، فيرد من الدولة العثمانية ثلاث أغوات: شيخ الحرم، وواحد نائب الحرم، وواحد خزين دار الحرم، فأما شيخ الحرم فله جميع أحكام السياسة بالمدينة، وأما نائب الحرم فيقوم مقام شيخ الحرم إذا مرض أو مات حتى يأتي الجواب من الدولة العلية، وله النظر على كثير من الأوقاف بالمدينة المنورة، وأما خزين دار الحرم فعليه حفظ خزائن الحرم وما يتعلق به والنظر على العين الزرقاء، ومستسلم الحرم له جميع أحكام الأغوات وأتباعهم وعده نقيب الحرم. (نصيحة المشاورق٣١؛ التحفة اللطيفة ٦١/١؛ المدينة المنورة في رحلة العياشي ٢٣٠؛ تحفة المحبين ٥٣ – ٦٥)، ويقدر الورثلاني (ت ١١٩٢هـ) وعلي بن موسى عددهم مابين ستين إلى ثمانيين يسكنون في الحارة المخصوصة بهم، ولهم نحو الأربعين بيت من أنظم البيوت لمسكنهم، وهي من مسقّفات الحرم، وعمارتها على الخزينة، ولهم معاتيق ومواليد كثير، ومساكنهم في تلك الحارة، ولهم شيخ مخصوص، ونقباء، وما أشبه ذلك. (الورثلاني، نزهة الأنظار ٥١٨، الجزائر ١٣٢٦هـ؛ وصف المدينة المنورة ٧١).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وراتب الواحد منهم (البطال) يتراوح بين ٢٥٠ و ٥٠٠ قرش في الشهر، وينظر الناس إليهم باعتبارهم أمناء شرفاء، ويقال بشكل عام إنهم متزوجون ويحتفظ بعض منهم بثلاث زوجات أو أربع، وشخصية الأغا غريبة وغير عادية [١].

وإلى جانب الأغوات هناك عدد من الخدم يقال لهم: (الفراشون) مربوطون بالخدمة في المسجد النبوي، وهم من الطبقات الوسطى والدنيا من أهل المدينة، وهم مقسّمون إلى ثلاثين جماعة، ويتم تغييرهم كل أسبوع، ويتلقى الواحد منهم ٢٢ قرشاً لقاء خدماته، وعمل هؤلاء الفراشين هو نفض الغبار من السجاجيد ونشرها، ووضع الزيت والفتائل في المصابيح، التي يثبته الأغوات في السقف، وهم بشكل عام يتسامرون ويتهربون من العمل [٢].

وأخيراً هناك شيخ السقّائين ويعمل تحت رئاسته مابين خمسة وأربعين إلى خمسين رجلاً، يقومون برش الأرض وري الحديقة، ويقدّمون أكواباً مليئة بسائل به ملوحة للزوار. أما الوظائف الأدبية فهي أكثر من وظائف السلطات التنفيذية ونظم الخدم.

فالقاضي الذي يُعيّن من إستانبول يقضي سنة كاملة في المدينة، ثم يواصل سيره إلى مكة حيث يقضي هناك سنة أخرى، ثم يرجع إلى إستانبول، ويعمل تحت رئاسته ثلاثة مفتين: المفتي الحنفي، والمفتي الشافعي، والمفتي المالكي،

(١)الرحلة ٨٤/٢.

(٢) قال علي بن موسى: "وأما الفراشون فشيخهم الكبير الذي يدخل كل ليلة وقت التسريج مع شيخ الحرم والنائب و(الخزندار) وهو رئيس أهل الفراشات الوكلاء عن أهل الآفاق، وفي دفتره نحو الألف فراش وكلاء الفراشات، وأما الفراشون من الهنود فنحو العشرين للتعمير، ووضع الشمع بالأشجار، وأما الكنّاسون فستون نفراً، والمدّين الذين يقفون على باب الحجرة وقت الخدمة أربعة عشر، والمكبّرون سبعة، وشيخ المحفل وخَدَمة المخزن الذي فيه المهمات عشرة، والبوابون في الأبواب الخمسة بملازميهم نحو العشرين، وشيخ الروضة واحد وله معاون. (وصف المدينة المنورة ٧٢).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أما المفتي الحنبلي فليس موجوداً هنا أو في القاهرة، وكل مفت من هؤلاء المفتين يتقاضى راتباً يبلغ مائتين وخمسين قرشاً شهرياً.

أما الرؤساء وهو المسمى الذي يطلقه المؤذنون على أنفسهم، فعددهم ثمانية وأربعون مؤذناً أو تسعة وأربعون، يرأسهم ستة من الكبار أو رؤساء المؤذنين، ويرأس هؤلاء الستة شيخ الرؤساء (شيخ المؤذنين) وله وحده حق الأذان من فوق المئذنة الرئيسية [١]، وراتب شيخ الرؤساء مائة وخمسون قرشاً شهرياً، أما الكبار (رؤساء المؤذنين) فراتب الواحد منهم حوالي مائة قرش، أما المؤذن العادي فراتبه ستون قرشاً، وهناك خمسة وأربعون خطيباً يتقاضى الواحد منهم مائة قرش وعشرين قرشاً شهرياً، وهم جميعاً يخضعون لرئاسة شيخ الخطباء، وهناك الأئمة الذين يؤمّون الناس في الصلوات الخمس كل يوم، يتقاضى الواحد منهم مثل راتب الخطيب تقريباً، ويبلغ عددهم خمسة وسبعين إماماً، ويرأسهم شيخ الأئمة [٢].

ومعظم أهل المدينة الذين لا يشتغلون في وظيفة من وظائف المسجد يشتغلون مزوّرين، وهم يتعلمون صيغ الدعوات منذ سن الصبا، ومناقشة الزائرين ومساومتهم، وشيء من الاستجداء، وبعض الإلحاح والصفاقة، وغالباً يكونون قادرين على تحصيل تكاليف معيشتهم في سن مبكرة.

وغالباً ما يستقبل المزور الزائر في بيته، ويتلو الدعوات لهم وهم يردّدون خلفه، وبعض الزوّار يرسل لمزوّره سواء في مكة أو المدينة مبلغاً سنوياً مع حاج ثقة، أو مع المسئول المالي للقافلة، تُلَفّ الأموال المحمولة في ورقة، وتوضع في

(١) يقول علي بن موسى: إن عددهم مائة نفر. (وصف المدينة المنورة ٧٢).

(٢)الرحلة ٨٥/٢، يحدد علي بن موسى عدد الخطباء والأئمة بمائة وسبعين. (وصف المدينة المنورة ٧٢).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

حقيبة جلدية مختومة، ويكتب عليها اسم المرسل إليه، ليضمن لنفسه الدعاء له عند الكعبة المشرفة، أو قبر النبي ﷺ.

وحينما تصل الأموال من الصدقات والأوقاف إلى المدينة مع حامل الصرة (المسئول المالي للقافلة) تُسلّم للمفتين، وشيخ الخطباء، وكاتب القاضي [١]، فتتكوّن لجنة، وبعد حصر الأسر المستحقة للمعاشات (الرواتب) تقسّم الأموال بينهم، بنسبة عدد أفراد كل بيت (أسرة) [٢].

أما رُتَب المستحقين للرواتب فينقسمون للفئات التالية:

- العلماء والمدرسون في الحرم.
- الأشراف (سلالة النبي ﷺ).
- الفقراء ومُحَفِّظُو القرآن.
- العوام (من أهل المدينة) والمجاورون (الوافدون الذين استقرّوا قرب الحرم).

وينتمي عمر أفندي (مضيف بيرتون) للفئة الثانية، وقد أخبرني بأن نصيبه

(١) واضح أن هذه الأعداد كبيرة جداً، وهي بطالة مقنّعة، قال العياشي: "وأما الخطبة فهي كالإمامة موزعة بين فقراء المدينة، لكل واحد مقدار معلوم من الأيام على قدر حصته التي يأخذها من جامكية (رواتب) الخطباء، فمنهم مقل ومكثر، وذلك إما بالوراثة من أسلافهم أو بالشراء من الولاة وهو الغالب. فمنهم من تدور نوبته في كل شهر مرة، ومنهم من لا تصل إليه النوبة إلا مرة في السنة، ومنهم بين ذلك على حسب أنصبائهم في المال المأخوذ على ذلك. والحاصل أن المناصب الشرعية كلها في البلاد المشرقية حجازاً ومصراً وشاماً من إمامة وخطابة وإقامة وقضاء وفتوى وشهادة بل ووقيد المساجد إنما تنال بالشراء من الولاة. فإذا مات صاحب خطّة أو عزل دفع الراغب فيها مالاً للولاة، فيولونه مكانه على أي حال كان من صلاحيته لذلك أم لا، فعظم الخطب على المسلمين والإسلام في ذلك خصوصاً منصب القضاء، فما رأينا ولا سمعنا في البلاد المشرقية كلها بقاض يقارب الحكم بما يشبه أن يكون شرعاً، وإنّ مدار أمرهم على الرشا جهاراً، فيَنْقض الحكم الواحد في اليوم الواحد مراراً متعدّدة بحسب كثرة الرشا وقلّتها، والله المستعان". (المدينة المنورة في رحلة العياشي ٢٠٢).

(٢)الرحلة ٨٥/٢.

من الصّرة يتراوح بين ثلاثة وخمسة عشر ريالاً كل سنة [١].

تحمل قافلة الحج الشامي أهمية خاصة لأهل المدينة، لأنها بمثابة النهر الذي تصب فيه عدة روافد من أسيا الوسطى وغيرها قاصدة مكة، ففي هذه السنة (١٨٥٣م) بلغ عدد القادمين لأداء فريضة الحج زهاء سبعة آلاف نسمة. ولها أهمية خاصة لأهل المدينة بسبب الكسوة الجديدة للحجرة النبوية، والسبب الثاني أن القافلة كانت تحمل الإعاشات السنوية والمنح المالية لأهل المدينة، والسبب الثالث أن أسرات كثيرة كانت تتوقع أن تستضيف أفراداً من القافلة في منازلها[٢].

سلوك وعادات المجتمع المدني

تعتبر الأعمال الحرفية بالنسبة للمديني أمر معيب؛ لأنهم يتعلمون منذ الطفولة أن المديني كائن مميز، لابد أن يحترمه الآخرون مهما كان تافها أو حتى رافضياً (شيعياً)، وأن غضب الله وسخطه سينزلان على من يسيء معاملته، ويزيد سخط الله وغضبه إذا ضربه. وهم على كبريائهم هذا كسولون، ويعتبرون العمل ضعة لا يتناسب مع مقامهم[٣]، يلبس الناس المحترمون في المدينة إما البنش أو الجبة، وعادة ما

(١)الرحلة ٨٦/٢، وانظر تفصيلاً في دفع هذه المرتبات عند (إبراهيم باشا، مرآة الحرمين٣٠٩/٢ وما بعدها؛ و محمد بيومي، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني، دار القاهرة، القاهرة، ط١٤٢١/١هـ)، قال البتنوني: ولكبار أهل المدينة مرتبات من الدولة، ولكثير منهم مرتبات من الحضرة الخديوية، وأغلبهم يعيش من وراء خدمة الحرم وخصوصا في الموسم، ومنهم كثير من المرشدين إلى محال الزيارة ويسمونهم مزوّرين، وهؤلاء يؤدّون في المدينة دور المطوّفين في مكة، ومنهم من يعيش من التجارة البسيطة" (الرحلة الحجازية ٢٥٩).

(٢) قال العياشي الذي زار المدينة سنة ١٠٧٢هـ: وبالجملة فلا ينتفع أهل المدينة بركب انتفاعهم بأهل الشام، فإنهم يقدمون بتجارات كثيرة، وطعام وزيتونا وأشربة، يبيعونها في المدينة عند قدومهم، ويدّخرون ما بقي إلى الإياب، فيبيعون كل ذلك بالمدينة. (محمد أمحزون، المدينة المنورة من خلال رحلة العياشي ١٠٣، دار الأرقم، الكويت، ط١٤٠٨/١هـ).

(٣)الرحلة ١٤٦/٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

يكون لون الجبة أصفر غامقاً، أخضر فاتحاً، أحمر ورديا (قرنفلي)، والعباءة الطويلة التي ليست لها أكمام يلبسها أفراد الطبقات الدنيا [١].

ويُستخدم بكثرة غطاء الرأس التونسي الأحمر، ويطلقون عليه اسم الطربوش، وقد حل الطربوش محل الكوفية والعقال، بسبب تقليد الأتراك [٢]، ولباس النسوة في المدينة أنيق كلباس الرجال، فهي ترتدي صديرية وفوقها قميص أبيض بأكمام واسعة جداً وسروال، وإذا خرجت المرأة طرحت على رأسها ملاءة حريرية أو قطنية مصبوغة بالأبيض والأزرق على شكل مربعات، أما البرقع فهو أبيض في سائر أنحاء الحجاز، والنساء يصبغن أخمص أقدامهم باللون الأسود (الحناء) وكذلك ينقشن الحناء على أيديهن [٣].

وتفرق المرأة شعرها عند منتصف الرأس، وتضفره حوالي عشرين ضفيرة صغيرة، ويسمين هذه الضفائر جدايل، وهن شغوفات بالعطور القوية، كالمسك، وطيب الزباد، والعنبر، وعطر الورد، وزيت الياسمين، ويلبس الرجال والنساء أخفافاً إستانبولية، والنساء يلبسن الثياب البيض عند الحداد [٤].

والنسوة يتصرفن باحتشام كبير، حتى في محادثتهن لأي رجل غالباً ما ينهينّ حديثهنّ دون أن تكشف المرأة عن بوصة واحدة من وجنتيها [٥]، وإجراءات

---

(١)الرحلة ١٥٠/٢.

(٢)الرحلة ١٥١/٢.

(٣)الرحلة ١٥١/٢.

(٤)الرحلة ١٥٢/٢.

(٥)الرحلة ٢٢/٢، قال العياشي: "بيد أن نسائهم يبالغن في الستر الظاهر بحيث لا يبدو من المرأة ولا مغرز إبرة حتى من أطرافها، يلبسن الخفاف السود، ويتبرقعن ويسدلن من أزرهن ما يكون غاية في الستر، إلا أنهن يكثرن من الطيب عند الخروج فيوجد عرف الطيب منهن من مسافة، فيكون ما سترنه ظاهراً أبدينه باطناً". (المدينة المنورة في رحلة العياشي ١٠٣).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الزواج طويلة مملة ومُكْلفة [١]؛ كما أنه لا توجد بالمدينة أماكن للبغاء [٢].

وفي المدينة بدأ شباب العرب يقلّد الأتراك بحلق اللحية "فالتفاهة الشخصية والبطالة دائماً تكون الوازع الحاكم لدى الشرقيين، فلما فشل العرب في محاكاة لحى الغرب والترك الكثة المتدلية بغزارة، عمدوا إلى تقليدهم في حلق لحاهم، مع أنهم الأمة الوحيدة التي لديها توجيه ديني بعدم حلق اللحى [٣]".

يصف بيرتون أطفال المدينة بقلة الأدب، والتوحّش في سلوكهم ومظهرهم، "أحد هؤلاء الأطفال وكان كالقنفذ لا يزيد عمره عن ثلاثة أعوام بالكاد أخبرني أن لدى أبيه سيفاً في البيت، وأنه سيقطع رقبتي به من الأذن للأذن، وأشار بيده إلى رقبته مُشفعاً قوله بالإيضاح، وكان ذلك لأنني منعته من أن يطأ قدمي الجريحة [٤]"، وكان الأطفال إذا خرجوا إلى الشارع فإنهم يتعاركون بالعصي والأحجار، وطفل التاسعة كأنه في الثامنة عشرة من عمره [٥]، وأفراد الطبقات الدنيا يُحيِّون أفراد الطبقات الأعلى بمحاولة تقبيل أيديهم، مما يدفع الآخرين لنزع أيديهم بعيداً [٦].

وهناك صراعات مابين (جُوة) داخل السور و (بَرّة) خارج السور، ولا يزال الصبية يؤججون تلك الصراعات التي عادة ما تكون بالحجارة والعصي [٧]، "إن الفخر، وحب المشاكسة، والتمسك بالشرف، وحب الانتقام الذي يتسم بالحقد

(١)الرحلة ١٥٧/٢.

(٢)الرحلة ١٥٤/٢.

(٣)الرحلة ١٤٩/٢، كان ذلك بسبب كثرة سكنى الأعاجم بها. (المدينة المنورة في رحلة العياشي ٢٢٧).

(٤)الرحلة ١٨/٢.

(٥)الرحلة ١٨/٢.

(٦)الرحلة ١٤/٢.

(٧)الرحلة ١٥٣/٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الشديد... هي الصفات الوحيدة التي أخذها أهل المدينة من خواص الشخصية العربية... وتقابل هنا قليلاً من بقايا فروسية الصحراء وشهامتها" [١]" وأهل المدينة كأهل مكة في طباعهم مزاج من الكرم والبخل والإسراف والتقتير [٢]"

وأهم صفة من صفات أهل المدينة والتي تظهر بوضوح أكثر من الصفات الأخرى، هي الغرور الشخصي أو الاعتداد الزائد بالنفس، ويتجلّى ذلك في اختيالهم وفي نظرتهم وفي كل كلمة ينطقون بها... لكن غالباً ما يؤدي التنافس بينهم، إلى عقد المآدب والاستضافة، وغير ذلك من أمور التباهي والخيلاء [٣].

"وعلى أية حال فرغم وجود بعض النقائص في شخصية المديني، فإنني أعتقد أن في هؤلاء الناس أكثر من جانب يستحق الإشادة، فهم أكثر رجولة وشهامة من معظم البشرية في الأمم الشرقية التي تعاملت معها [٤]".

وغذاء أهل المدينة يتكوّن من اللحم والخبز وبعض الخضروات، والأرز المسلوق، والفاكهة [٥]، توجد بعض المقاهي في المدينة، وكثيراً ما يسهرون الليل الليل على بعض الحصر المفروشة أمام المنزل [٦].

وصناعة الخمر معدومة بالمدينة إلا بواسطة الأتراك [٧]، يمارس البعض التدخين باعتباره دلالة على الغنى والثراء، وتقدّم النرجيلة للضيف كنوع من

(١)الرحلة ١٥٤/٢.

(٢)الرحلة ١٥٥/٢.

(٣)الرحلة ١٥٥/٢.

(٤)الرحلة ١٥٥/٢.

(٥)الرحلة ٢٣/٢.

(٦)الرحلة ٢٣/٢.

(٧)الرحلة ١٥٥/٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الكرم، والجميع من الزوار يتناولون التدخين [١]، وحتى إن المدنيين القادمين من إستانبول والقاهرة يخصّون أقاربهم وأصدقائهم بالشيشة كأفضل هدية [٢].

الجهل بأحوال العالم الخارجي شيء طبيعي في المجتمع المدني، فالأحاديث تدور حول السلطان عبد المجيد [٣] وحربه للروس، حيث طلب القيصر السلام، وقدم الجزية والطاعة، لكن السلطان رد بقوله: لا واللّه لابد من الإسلام !، وأن السلطان بعد أن يقضي على الروس سوف يستدير بجيشه المنتصر على أوروبا، فيقضي على الإنجليز والفرنسيين واليونانيين!!!. [٤].

(١)الرحلة ١٦/٢ -١٧.

(٢)الرحلة ٣٩/٢.

(٣) السلطان عبد المجيد خان بن السلطان محمود الثاني، تولى الخلافة وعمره سبع عشرة سنة، في عام ١٢٥٤هـ/١٨٣٩م، وكانت الدولة العثمانية تمر بفترة عصيبة، منها اعتداء بعض الدول الأوربية على الدولة، والقلاقل الداخلية وتمرد محمد علي باشا حاكم مصر، وتهديده لحاضرة الدولة، وظهر في حكمه مدى ضعف ووهن الدولة العثمانية، واستعداد الدول الأوربية لاقتسام تركة الرجل المريض. وقد توفي السلطان عبد المجيد عن عمر يناهز الأربعين سنة في عام ١٢٧٧هـ/١٨٦١م، وكانت مدة حكمه ٢٢سنة ونصف السنة. (محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية٤٥٥ -٥٢٩، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط٢/١٤٠٣هـ).

(٤)الرحلة ١٧/٢، زار بيرتون الحجاز مابين عامي ١٨٥٣ -١٨٥٤ وكانت الدولة العثمانية في حرب مع روسيا وهي حرب القرم (١٨٥٣ -١٨٥٦). وسبب هذه الحرب هو أن القيصر نقولا الأول الذي تسلم عرش روسيا سنة ١٨٢٥م كان همه التوسع على حساب الدولة العثمانية، فعرض في سنة ١٨٥٣م على بريطانيا تقسيم الإمبراطورية العثمانية، فتأخذ روسيا مضيق البوسفور وتحتل الأستانة بصورة مؤقتة، أما الولايات العثمانية في أوربا فتتحد في دولة مستقلة، ومقابل موافقة انكلترا على هذه الترتيبات تأخذ مصر ورودس وقبرص. وكان من الطبيعي أن ترفض انكلترا هذا العرض لأنه لا يتفق مع سياستها التقليدية القاضية بالمحافظة على سلامة الإمبراطورية العثمانية، والحؤول دون وصول الروس إلى البحر الأبيض المتوسط حيث للإنكليز مصالح كثيرة، ثم إن انكلترا لم تكن تفكر بأن تحدث في أوربا تغييرات عميقة تؤدي إلى اختلال موازين القوى في القارة، أعلنت روسيا الحرب على تركيا في أول سنة ١٨٥٣م واستولت على بعض المدن

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أبدى الجميع حماسة في تكوين فريق للحصول على أسلاب أوروبا، وظهر الخلاف فيمن سيشارك "وحتى الذين بلغوا سن العاشرة لن يتخلفوا، ونخلص من هذا بأن هؤلاء الرجال الظرفاء كانوا يحاربون في كل اتجاه [١]".

هناك أعداد كبيرة من الفقراء في المدينة، وخاصة أولئك الذين ليس لهم علاقات مع الحجاج، مثل البدو الذين يعيشون قرب مسجد قباء، حيث إنهم يعيشون وضعاً مأساوياً بائساً، ويعانون هم وأطفالهم من سوء التغذية بسبب الفقر والفاقة [٢].

الحدودية، ونتيجة لخوف الانكليز والفرنسيين من اجتياح الجيوش الروسية للأراضي العثمانية فقد تقدّم أسطولاهما نحو البحر الأسود، وفي سنة ١٨٥٤م أعلنت الدولتان الحرب على روسيا، بعد أن دمرت هذه الأخيرة أسطولاً تركياً في البحر الأسود، وكان على الحلفاء إنزال جيوشهما على الأراضي العثمانية، وفي سنة ١٨٥٥م توفي القيصر الروسي نقولا الأول، وخافه إسكندر الثاني وكان مسالماً، وأكثر اهتماماً بشؤون روسيا الداخلية منه بالتوسع أو التدخل في الشؤون الأوربية، ولما شعر بأن متابعة الحرب قد باتت صعبة نتيجة للأزمة المالية التي تعانيها البلاد، ولخسارته للأسطول الروسي، ولهزائم الجيش في الحرب، فقد أخذ يجنح إلى السلم، فوجهت الدعوة إلى مؤتمر سلام عقد في مدينة باريس، وانتهى بمعاهدة الصلح المعروفة باسم"معاهدة باريس"التي وقّعت في ٣٠ آذار سنة ١٨٥٦م ومن أهم بنود الصلح: اعتراف الدول الأوربية بالسيادة العثمانية على المضايق، ويحظر على روسيا بناء أسطول حربي، وإنشاء معامل حربية وأسلحة وحصون، وبذا يصبح البحر الأسود محايدا. (عبد العزيز نوار، عبد المجيد نعنعي، التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية٢٣١ - ٢٤٢، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣م).

(١)الرحلة ١٨/٢، لا يُخفي بيرتون التهكّم والسخرية من هذه المجتمعات الجاهلة، التي كانت تئن تحت الجهل والفقر والفاقة والتخلّف، بينما كانت أوروبا تسير بخُطى واضحة وسريعة نحو التقدم العلمي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي، الأمر الذي سيكتشفه أبناء هؤلاء مع بداية الثورة العربية عام ١٩١٦م، وما تبعه من اتفاقية سايكس بيكو بين فرنسا وبريطانيا لاقتسام بلاد العرب.

(٢)الرحلة ١١١/٢ -١١٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

يشاهد المرء الكثير من المتسولين في المدينة وخاصة داخل وخارج المسجد النبوي، وحول مسجد قباء، وفي مقبرة البقيع. حتى إن الأغوات يمارسون أيضا نوعا من الشحذة المنظمة لعلية القوم [١].

الزراعة في

يشاهد الذاهب إلى قباء المزارع الجميلة الرائعة، وأصوات العصافير، والهواء المنعش والروائح الزكية، وخرير الماء والعيون...[٢]، تقسم الحقول والبساتين إلى مستطيلات صغيرة، يفصل بعضها عن بعض بحواشي طينية صغيرة [٣].

وأهم ثمار المدينة:

البلح: وأفضل أنواعه الشلبي، ويرسل المسلمون منه هدايا إلى أنحاء العالم الإسلامي، وهي نادرة، والعجوة، وهي لا تباع إنما تؤكل لخصائصها المميزة في الوقاية من السحر والسم [٤].

وتوجد أنواع أخرى عديدة مثل البرني، الوحشي، الصيحاني، الجبلي، الخضيري، الحلوة، الحلية، واللوان [٥].

"ويجد أهل البلاد بهجة في الحديث عن التمور، على نحو ما يجد الإيرلندي البهجة ذاتها عند الحديث عن البطاطس، فالحديث في الحالتين مفعم

(١)الرحلة ٤٩/٢، ١١٦، ٣٣، ٥٢.

(٢)الرحلة ١٠٥/٢.

(٣)الرحلة ١٠٩/٢.

(٤) إشارة لقوله ﷺ: من تصبّح كلّ يوم سبع تمرات، عجْوَة، لم يضرّه في ذلك اليوم سمّ ولا سحر". أخرجه البخاري مع الفتح ٤٨١/٩ رقم: ٥٤٤٥، كتاب الأطعمة، باب: العجوة؛ ومسلم في صحيحه ١٦١٨/٣ رقم: (٢٠٤٧)، كتاب الأشربة، باب: فضل تمر المدينة. وانظر بتوسع في فضل عجوة المدينة (السمهودي، وفاء الوفاء ٧٠/١ – ٧٣، وانظر عن أنواع تمور المدينة الجواهر الثمينة ٤٢/ب).

(٥)الرحلة ١٠٦/٢ -١٠٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بالشغف"[١]، وأهم الخضروات: الباذنجان، البامية، الملوخية، البطاطس، البصل، الكراث، الجزر، الفاصوليا الخضراء، الفجل، اللفت، القرع، الخيار[٢].

وأهم الفواكه:

العنب، وهو خمسة أنواع وأهمها: (الشريفي، والبرني، والحجازي، والسوادي، والرزيقي)، والنبق، والعناب، والخوخ (الدراق)، والموز، والليمون، والبطيخ، والتين، والتفاح، والرمان، وله ثلاثة أنواع: أفضلها الشامي وقشرته حمراء، والتركي، والمصري.

وتحظى المدينة مثلها مثل الطائف بشهرة بسبب شراب الرمان المركز الذي يشرب مع الماء خلال الصيف، ويعد شراباً مبرداً ومفيداً للصحة [٣].

ويزرعون الذرة، والقمح، والشعير، وهي بكميات قليلة. كما يزرعون البرسيم [٤]، ورغم أن المياه متوفرة إلا أنه من النادر أن تكون طيبة [٥].

أما المدينة فيأتيها ماؤها من العين الزرقاء، وتجري تلك القناة التي شقّها السلطان سليمان القانوني تحت الأرض من الجنوب إلى الشمال الغربي، لها فتحات خارج الأرض، وكنت أشرب من مائها وهو حلو المذاق صحيّ [٦].

---

(١)الرحلة ١٠٧/٢.

(٢)الرحلة ١١١/٢.

(٣)الرحلة ١١١/٢، قارن بما ذكره العياشي ٢٢٤؛ والبتتوني ٢٥٨.

(٤)الرحلة ١٠٩/٢

(٥)الرحلة ٩٠/٢

(٦)الرحلة ٩٠/٢ -٩١، العين الزرقاء: نسبة إلى مروان بن الحكم، وكان أزرق العينين، وقد أجرى هذه العين في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، حينما كان على المدينة في حوالي سنة الخمسين من الهجرة، كانت العين في غربي قباء في حديقة نخل، فقام مروان بن الحكم بإيصال العين إلى المصلى (غربي المسجد

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

النبوي) وجعل عليها قبة كبيرة مقسومة نصفين يخرج الماء منها في وجهين مدرجين، وجه قبلي ووجه شمالي، وتخرج العين من القبة من جهة المشرق ثم تأخذ من جهة الشمال، وأخذ الأمير سيف الدين الحسين بن أبي الهيجاء في حدود الستين وخمسمائة منها شعبة من عند مخرجها من القبة فساقها إلى باب المدينة باب المصلى ثم أوصلها إلى باب الرحبة التي عند المسجد النبوي من جهة باب السلام المعروف قديما بباب مروان، وبنى لها منهلا بدرج من تحت الأرض يشق وسط المدينة على البلاط، ثم يخرج إلى ظاهر المدينة من جهة الشمال شرقي الحصن (قلعة المدينة) الذي يسكنه أمير المدينة، وكان قد جعل منها شعبة صغيرة تدخل إلى صحن المسجد، وجعل لها درجا على عقد يخرج الماء إليه من فوّرة يتوضأ منها من يحتاج إلى الوضوء. (قال عنها ابن النجار المتوفى سنة ٦٤٠هـ، في كتابه أخبار مدينة الرسول ١٠٧ - ١٠٨: وأما الآن فليس في المسجد سقاية إلا في وسطه، وفيه بركة كبيرة مبنية بالآجر والجص والخشب، ينزل الناس إليها بدرج أربع في جوانبها والماء ينبع من فوّارة في وسطها يأتي من العين ولا يكون الماء فيها إلا في أيام الموسم إذا جاء الحاج، وبقية السنة تكون فارغة عملها بعض أمراء الشام، واسمه شامة). ونظراً لما سببه هذا العمل من انتهاك حرمة المسجد من كشف العورات والاستنجاء في المسجد فسُدّت لذلك، وإذا خرجت العين من القبة التي بالمصلّى سارت إلى جهة الشمال حتى تصل إلى سور المدينة، فتدخل من تحته فتصل إلى منهل آخر بوجهين مدرجين عند قبر النفس الزكية، وإذا جاوزت ثنية الوداع مرّت من شامي سَلْع على المسجد المعروف بمسجد الراية، ولها هناك منهل آخر، ثم تسير في جهة الغرب فتمر في غربي الجبلين اللذين في غربي مساجد الفتح، وهكذا حتى تصل إلى مغيضها، وهو الموضع المسمى بالبركة، وقد زُرع عليها هناك نخيل كثيرة كلها لأمراء المدينة. (المطري ٥٨؛ المراغي ٢٩٨؛ السمهودي ٩٨٧/٣؛ كبريت، الجواهر الثمينة في تاريخ المدينة ق ٣٩/ب، مكتبة عارف حكمت ٩٠٠/٧٩)، قال العياشي: فأُظهرت داخل المدينة في مناهل متعدّدة، وبني لها بناء متقن يهبط إليه في نحو ثلاثين درجة محكمة البناء، متقنة الرّصف، واسعة الممشى، منها يستقي أهل المدينة كلهم لشربهم. والذي رأيت منها ثلاثة مواضع: أحدها شرقي المسجد بينه وبين باب البقيع، والآخر خارج باب السلام في الناحية الغربية عند سوق المدينة بالبلاط، والآخر شامي المسجد بعيدا منه إلى ناحية باب الشامي، وهذه العين المباركة من أغزر العيون وأحلاها ماء وألذه، بها جلّ انتفاع أهل المدينة، ومنها كل السبيلات الموقوفة بالمدينة، ومنها تملأ الدوارق التي توضع في الحرم الشريف للشرب، وهي لا تكاد تُحصى كثرة، فما أعظم بركتها وأوسع نفعها. (المدينة المنورة في رحلة العياشي ١٥٠ - ١٥١)، ويظهر أنه قد أجريت عدة مناهل بعد العياشي، فيذكر علي بن موسى أربعة مناهل داخل السور: الأول منهل في حارة الأغوات، والثاني منهل باب السلام، والثالث: في آخر الساحة بقرب الحارة الجديدة المعروفة بالسلطانية لعديلة سلطان بنت السلطان محمود خان، والرابع: داخل القلعة الخاقانية، والمنهل الخامس عند مرقد النفس الزكية عند الحديقة المعروفة بالزكي(وصف المدينة المنورة ١٨)، إضافة إلى الحمّامات العامة في المدينة كانت موصلة بهذه العين، كما كانت العين تسقي عدة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وبئر أريس تقع إلى الغرب من مسجد التقوى (مسجد قباء) وعليها ساقية ينساب الماء البارد في حوض بالغ الصغير، ومن هذا الحوض ينساب مندفعا ومحدثا خريرا في مجرى صغير، كأنه من صنع الأطفال [1]، ولم يتبق من

بساتين منها: بستان العينية وهو في شارع باب السلام، وبستان آل بري زاده بالمناخة تجاه مصلى الأعياد أو مسجد الغمامة، وبستان عبد العال في التاجورية بالمناخة، وبستان السادة الأسعدية داخل الباب الشامي، وبستان داود باشا خارج الباب الشامي. (مرآة الحرمين ٤٣١/١)، وانظر وصفا لها أيضا عند: (البتوني ٢٥٧ – ٢٥٨)، لقد اهتمت الحكومات المتعاقبة بهذه العين فبعد أن توقفت لبعض الوقت ساقها من جديد الملك الأشرف قايتباي (ألغزي، الكواكب السائرة٢٩٩/١، تحقيق: جبرائيل جبّور، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١٩٧٩/٢م)؛ كما توقفت في أوائل الحكم العثماني، فعمّرها السلطان سليمان القانوني سنة ٩٣٢هـ، ثمّ عمّرها السلطان مُراد سنة ٩٩٠هـ بعد أن جرفها السيل، وفي سنة ١٢١٢هـ ثم بنى مجراها السلطان سليم، ثم جدّدها السلطان عبد الحميد الثاني في القرن الربع عشر الهجري، واهتمت الدولة السعودية بالعين الزرقاء، وكوّنت لها هيئة رسمية تُسمى "لجنة العين الزرقاء" سنة ١٣٤٩هـ، وأخيرا مُدّت أنابيب داخل مجاري العين وأدخلت إلى المنازل. (الرحلة الحجازية ٢٥٨، عبد القدوس الأنصاري، آثار المدينة المنورة٢٦٠ – ٢٦١).

(١) الرحلة ١١٧/٢، بئر أريس: نسبة إلى رجل من اليهود يقال له: أريس، ومعناها بلغة أهل الشام الفلاّح، اشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه، وجعلها صدقة على المسلمين، ولها شهرة لذكرها في الحديث الصحيح: الذي ذكر جلوس النبي صلى الله عليه وسلم على بئر أريس وتبشيره لأبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم – بالجنة(صحيح مسلم ١٨٦٨/٤ رقم: ٢٤٠٣، كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه)، وفيها سقط خاتم النبي ﷺ من يد عثمان رضي الله عنه، وكان ذلك بعد ست سنين من خلافته رضي الله عنه، وعفى أثره ولم يجدوه. (صحيح البخاري ٣٤١/١٠ رقم: ٥٨٧٩، كتاب اللباس، باب: هل يُجعل نقش الخاتم ثلاثة أسطر؟)، تقع إلى الغرب من قباء، وكانت عذبة الماء (ابن النجار ٤٣)، ثم توالى اصلاح البئر، وجلب الماء منها إلى بركة ماء مقابلة لمسجد قباء(نصيحة المشاور ق ٢٠٠؛ السمهودي ٩٤٨/٣ – ٩٤٩). قال العياشي: "وهذه البئر في حديقة غربي مسجد قُباء قريباً منه، وماؤها غزير يسنى منه إلى بركة في الحديقة، وفي هذه الحديقة أنواع الفواكه والأشجار، وبها عنب كثير قلّما يدخل أحد للزيارة في وقت العنب إلا ويشتريه ويأكله فيها حتى ظن العوام أن ذلك من القربات، وأهل المدينة يقصدون هذه الحديقة للقائلة والتفرّج، وقد جُعل لمائها نفقاً من أسفلها على وجه الماء حتى يتصل ماؤها بالبئر التي يقال لها العين الزرقاء"(المدينة المنورة في رحلة العياشي ١٥٠)، قال عبد القدوس: "تقع هذه البئر غربيّ

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الآبار العشرين التي كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم سوى سبعة آبار[١].

وأما الماشية: فأكثرها انتشارا الغنم، والبقر نادرة [٢]، وأسعار الخيول مابين ٢٠٠ - ٣٠٠ دولار، والجمال مابين: ١٠ – ٤٠٠ دولار [٣].
والمدني يغرم بالسمن البري الذي يجلبه البدو طازجا [٤].

الصحة والمرض في المدينة

لقد أُصبت في المدينة بالكوليرا الآسيوية، والتي كانت تقضي على أسر بكاملها، ويسمونها "الرحمة الكبرى"، وعلاجهم للكوليرا بالليمون والنعناع، وجرعات كبيرة من القهوة، ولازال أهل المدينة يتباهون بأن الطاعون، أو التونة - كما يسمونه – لم يصب المدينة في أي وقت من الأوقات [٥].

أما الجدري فيبدو متوطنا على سواحل البحر الأحمر... وفي المدينة يبدو الجدري قدراً محتوماً للأطفال، إلا أن كثيراً منهم بدءوا يتلقون تطعيماً ضده هذه الأيام؛ ويموت صغار السن من البدو بهذا المرض، أما البالغون من البدو فقلما يصابون به في الصحراء أو المدينة على السواء.

وتقوم الممرضة بإغلاق غرفة المريض أثناء طلوع الشمس، ويتحاشون بعناية فائقة هواء الليل، لاعتقادهم أنه مادام المريض حاراً فإن تنفس هذا الهواء سيؤدي

مسجد قباء بنحو ٣٨مترا، وعمقها ١٢مترا، وفي أسفلها فتحتان يجري منا الماء الى قاع البئر، وفتحة ثالثة توصلها الى مجرى عين الأزرق(العين الزرقاء)... وماء البئر غزير". (آثار المدينة المنورة ٢٣٧).

(١) (١١٨)، (المدييتة المنورة في رحلة العيلشي ١٤٩).

(٢) الرحلة ١٥٣/٢.

(٣) الرحلة ١٥٢/٢.

(٤) الرحلة ١٤٧/٢، يجلب الأعراب إلى المدينة اللبن والجبن والسمن والغنم. (المدينة المنورة في رحلة العياشي ٢٢٣، ٢٢٦).

(٥) الرحلة ٩٣/٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إلى إيراد المريض موارد التهلكة، وفي الليل توضع دائماً شمعة موقدة أو مصباح إلى جانب سرير المريض، وإلا مات المريض بالجنون الذي تسببه له الأرواح الشريرة أو الخوف، ويحرقون صوف الأغنام في غرفة المريض لأن الموت قد يتبع رائحة الدخان، والعلاج الوحيد للجدري الذي سمعت به هو الكحل المسحوق يُشرب بعد وضعه في الماء، وتكحيل جفون العين اتقاء العمى، وتناول وجبات العدس وتمور البرني، وفي اليوم الواحد والعشرين يستحم المريض بالملح والماء الفاتر [١].

أما مرض الرمد فنادر، وفي الصيف تنتشر الحمى المعاودة أو حمى الورد، وإن كانت مصحوبة بتقيء فلها ضحاياها،وبعد الحمى يتورّم الوجه والبطن، وتظهر على السيقان والبطن نُتوءات قاسية [٢].

وهناك نوع آخر من الحمى ويطلق عليها حمى، وعلاجها المعتاد إحراق البخور وقراءة التعويذات في غرفة المريض.والشكوى من اليرقان واختلال وظائف الكبد من الأمور الشائعة، ويعالجون اليرقان بطريقة خاصة، إذ يجعلون المريض ينظر في آنية مليئة بالماء بينما يقوم طارد الأرواح الشريرة (الشيخ أو المشعوذ) بتلاوة الرقى، ويسحب رأس إبرتين من أذني المريض على طول عينيه وأسفل وجهه، ثم يغمس الدبوس في الماء فيغدوا رأس الماء مصفراً. وآخرون يجعلون المريض ينظر في مرآة سحرية فيشفى المريض [٣].

---

(١) الرحلة ٢/٩٣.

(٢) الرحلة ٢/٩٣ -٩٤.

(٣) الرحلة ٢/٩٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والدوسنتاريا من الأمراض المألوفة في موسم الفواكه، عندما يقوم العرب النهمون بالتهام كل أنواع الفاكهة التي لم تنضج بعد، كالخوخ والعنب والرمان، والعلاج الشائع لهذا المرض هو الكي.

ويعاني الناس هنا كما في مصر من النزيف بدرجات متفاوتة، ويستخدمون له بعض العلاجات الشعبية؛ وإذا أصاب إنسان منهم داء الكلب، الذي يقولون إن لحمة من السماء تسقط فإذا أكلها كلب غدا مجنوناً، وإذا عض الإنسان انتقل إليه هذا الداء، فيحبسونه بمفرده في غرفة لمدة أربعة أيام، وإذا استمر ينبح كالكلب بعد هذه المدة فإنهم يطردون الغول أو(الشيطان) من داخله بأن يسكبوا عليه ماء مغلياً مخلوطاً برماد الخرائب [١].

ويعالجون الجروح بالبلسم المكي، ويلفون حول الجرح خرقة لا ينزعونها حتى يشفى الجرح، ومن الأمراض الخطيرة القرحة التي تؤدي إلى غنغرينية الجزء المصاب، ويكون مصيره في الغالب الموت،ويعالجونها بالكي الشديد أو قطع الجزء المصاب [٢].

وعلاجهم للجرح بعد القطع هو التوتيا والزنجار(صدأ النحاس)، والراحة، والواجبات الجيدة، وتغيير الهواء [٣]، "ومن خلال ما ذكرناه آنفاً بإيجاز يصبح من الواضح أن العرب لم يعودوا أبرع الأطباء في العالم، وعلى أية حال، فإن لديهم ميزة واحدة عظيمة في ممارستهم، كما أن لديهم حسّاً ووعياً كافيين.

فأطفال غالب أهل المدينة المحترمين، يُرسَلون إلى الصحراء ليقيموا في خيام تصبح بالنسبة لهم قريتهم الوطنية، وفي حالات الجروح القاسية أو الأمراض

(١) الرحلة ٢/٩٥.

(٢) الرحلة ٢/٩٥.

(٣) الرحلة ٢/٩٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المزمنة يؤمر المرضى بالانعزال في خيام سود حيث يعيشون كبدو، ويشربون حليب النوق، ولا يؤدي أي عمل.

وقد وجدت هذه الممارسات في شبه الجزيرة العربية منذ أزمنة سحيقة، بينما لم تبدأ أوروبا إلا قريباً في تنظيم رحلات تغيير الهواء، والتدريبات الرياضية، وممارسة الحياة البسيطة.

وحتى الآن فإننا في أوروبا مضطرّون لحجب أهمية كل ذلك تحت ستار من الدجل والشعوذة، كتبنّي فكرة العلاج باللبن في سويسرا، والعلاج بالماء في سيليزيا، والعلاج بالعنب في فرنسا، والعلاج بالجوع (الرجيم) في ألمانيا، وغير ذلك من المسميات التي لها فعل ذر الرماد في العيون [١]".

العلم والدين في المدينة

المدينة تعج بالكتب، وتوجد مدرستان إلى جوار الحرم، وهما المدرسة المحمودية نسبة للسلطان محمود، ومدرسة بشير آغا، وفي كلتا المدرستين مخزن كبير عامر بكتب التوحيد وغيره [٢].

---

(١) الرحلة ٩٥/٢ -٩٦، يتضح مدى التخلف الذي أصاب المسلمين في نواحي عديدة من حياتهم، وخاصة فيما يتعلق بمفهوم النظافة العامة والعناية الصحية، لقد كان المسلمون سادة العالم في فنون العلم والمعرفة، وبلغوا شأوا عظيماً في بناء المستشفيات الثابتة والمتنقلة، وقاموا بعزل أصحاب الأمراض المعدية، وبنوا متشفيات خاصة بالمجانين، وافتتحوا الصيدليات، ووضعوا نظاماً صارماً فيمن يزاول مهنة الطب والصيدلة، وأجروا الاختبارات اللازمة لتخريج الأطباء والصيادلة، لقد برع السلمون في علم الجراحة، وتشريح العيون وعلاجها، واكتشفوا الدورة الدموية، واستخدموا التخدير في عملياتهم، وصنّفوا في جميع فروع الطب والصيدلة، والمكتبة الإسلامية زاخرة بمؤلفاتهم المخطوطة. (محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية٢١٨/١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١٩٦٨/٣م؛ خليل السامرائي، دراسات في تاريخ الفكر العربي٣٠١ -٣٣١).

(٢) الرحلة ١٥٧/٢، قال البتنوني: "وليس في المدينة من المدارس ما يستحق الذكر، إلا أن فيها ١٧ مكتباً لتعليم مبادئ العلوم البسيطة، والذي يدرس في الحرم شيء بسيط من الفقه والتفسير"(الرحلة الحجازية ٢٥٥؛ وانظر تفصيلا لهذه المدارس الصغيرة عند علي بن موسى، وصف المدينة المنورة ٥١ - ٥٢)، كما ذكر البتنوني

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد سمعت أن كتباً كثيرة عند نقيب الأشراف محمد جمل الليل [١] الذي كان أبوه مشهوراً في الهند، بالإضافة إلى كتب كثيرة موقوفة مهداة للمسجد[٢]، أو موقوفة لأسرات معينة، وقد نقل محمد بن عبد الله السنوسي الشهير مجموعته التي بلغت فيما يقال ثمانية آلاف مجلد من المدينة المنورة إلى بيته في جبل أبي قبيس بمكة المكرمة.

وتقام في المسجد – في الجهة الشمالية وحتى الرواق الشرقي - بعض حلقات العلم وتستمر من الصبح الباكر وحتى المساء، حيث تسمع جعجعة ولا ترى طحيناً [٣]، ويتباهى أهل المدينة بمحبة واحترام علمائهم أكثر من أهل مكة، ويغادر الطلبة إلى دمشق والقاهرة لتلقي العلم، ويقتصر التعليم هناك (في المدينة) على العلم الشرعي فقط، ونادراً ما يتحدث المدني بغير اللغة العربية [٤].

أن في المدينة مكتبات كثيرة أحسنها مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت، وهي قريبة من باب جبريل إلى جهة القبلة، وهذه المكتبة آية في النظافة، وحسن التنسيق، وترتيب الكتب، وأرضها مفروشة بالسجاد العجمي الفاخر، وفي وسط حوشها نافورة من الرخام، فيها حنفيات للوضوء، وفيها كتب ثمينة جدا لا يقل عددها عن ٥٤٠٤ كتاب، وفي باب السلام مكتبة السلطان محمود ومقدار الكتب التي فيها ٤٥٦٩ كتاب، وهي وإن كانت أصغر من مكتبة عارف، وأقل نظاما إلا أنها جميلة ومرتبة، وهناك مكتبة السلطان عبد الحميد الأول وبها ١٦٥٩ كتاب، ومكتبة بشير أغا، في زقاق الخياطين بها ٢٠٦٣ كتاب، وهناك مكتبة في رباط عثمان حافلة بنفائس كتب مذهب مالك، ويقدر مجموع هذه الكتب بثلاثين ألف كتاب من الكتب النادرة المثال، ولو جُمعت كل هذه الكتب في دار واحدة، وعُمل لها نظام مخصوص لكان ذلك أنفع، والفائدة منه أكبر. (المصدر السابق٢٥٥؛ وانظر تفصيلا أكثر لعدد الكتب والمكتبات عند إبراهيم باشا ٤٢٢ - ٤٢٣)، قلت: لقد جُمعت هذه المكتبات في مكتبة الملك عبد العزيز، وتقع إلى الغرب من الحرم النبوي.

(١) عند الأنصاري: جمل الليل من آل باعلوي، وذكر اهتمامهم بالعلم والتجارة. (تحفة المحبين ١٢١ – ١٢٢).

(٢) المدينة المنورة في رحلة العياشي ١٩٥.

(٣) الرحلة ٥٨/٢.

(٤) الرحلة ١٥٨/٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الوضع الديني في المدينة

مسجد قباء [١] يقوم عليه الآن بعض سلالة أبي أيوب الأنصاري، ويشترك هؤلاء مع بوابي المسجد في الصدقات التي يقدمها المسلمون [٢].

بعد أداء الركعتين ذهبنا إلى الجزء الجنوبي من المسجد حيث توجد "دكة الكشف" [٣]؛ والتي يعتقد المسلمون أن الرسول ﷺ كان جالساً فيه وجاءه جبريل فأزال من أمام عينيه كل الحواجز والحجب، وقمنا بأداء ركعتين، والمكان مزدحم جدا[٤]، ثم ذهبنا إلى منطقة خارج الرواق في منطقة مكشوفة هي "مبرك الناقة"[٥] مُغطّى بقبة صغيرة من الحجر، مقامة على

(١) مسجد قباء: هو أول مسجد أُسس في المدينة، وكان ذلك بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها، فكان نزول النبي ﷺ بعد وصوله للمدينة على بني عمرو بن عوف بقباء في دار كلثوم بن الهدم، وكان له مربدا فأخذه منه رسول الله ﷺ وبناه مسجدا، وكان يعمل فيه بنفسه، وكان إمامه فيما بعد معاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، وسّعه عبد الملك بن مروان، ثم عمر بن عبد العزيز في خلافة الوليد بن عبد الملك، ثم تهدّم على طول الزمان حتى جدّد عمارته جمال الدين الأصفهاني وزير بني زنكي وكان ذلك في سنة ٥٥٥هـ، كما جُدّد في سنة ٦٧١هـ، وعمّر بعضه الناصر بن قلاوون سنة ٧٣٣هـ، وجدّد غالب سقفه الأشرف برسباي سنة ٨٤٠هـ، وسقطت منارته سنة ٨٧٧هـ، فجدّدت في سنة ٨٨١، كما عُمّر عدّة عمارات في الدولة العثمانية كان آخرها سنة١٢٤٥هـ (تحقيق النصرة ٤٩ – ٥٥؛ وفاء الوفاء ٧٩٧/٣ – ٨١٢؛ الجواهر الثمينة ق ٣١أ؛ مرآة الحرمين ٣٩٥/١ – ٣٩٧).

(٢) الرحلة ١١٤/٢، قال بوركهارت: يوجد مدارس قليلة في المدينة، وفي المدينة كما الحال في مكة، ليس ثمة سوق عام للكتاب، فالكتب الوحيدة التي رأيتها معروضة للبيع كانت موجودة في بعض محال بيع الأقمشة بالتجزئة بالقرب من باب السلام. (رحلات في شبه جزيرة العرب ٣٥٧ - ٣٥٨).

(٣) هذا بسبب الجهل المتعاقب على المسلمين، ثمّ إن بيرتون كان معه جهلة ليسوا من أهل العلم، والمقصود بهذا المكان هو نفسه الذي كان يصلي فيه النبي ﷺ إذا جاء مسجد قباء. (رحلة ابن جبير ١٧٥؛ وفاء الوفاء ٨٠٧/٣).

(٤) الرحلة ١١٥/٢.

(٥) قال ابن جبير" وفي وسطه – أي مسجد قباء – مبرك ناقة النبي ﷺ، وعليه حلق قصير شبه روضة صغيرة يتبرك الناس بالصلاة فيه"(رحلة ابن جبير ١٧٥)، قال السمهودي: وأما الحظيرة التي بصحن المسجد فلم أرَ في كلام المتقدمين تعرّضاً لذكرها، والشائع على ألسنة أهل المدينة أنها مبْرك ناقة النبي ﷺ، وبه جزم المجد تبعاً لابن جبير، وهو محتمل، لأن أصل مسجد قباء كان مِرْبداً لكلثوم بن الهدْم، وعليه نزل النبي ﷺ، فأعطاه النبي ﷺ فأسّسه مسجداً. (وفاء الوفاء ٨٠٨ – ٨٠٩).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أربعة أعمدة حجرية [١]، وإلى قليل منه، صعدنا في مكان يسمى مكان الآيات، يقال: بأن الرسول ﷺ نزلت عليه آية طهارة قباء [٢]. "وهو أمر لم ألحظه أنا شخصيا" [٣]، ثم توقفنا إلى اليسار من المسجد عند مصلّى صغير يحاذي الزاوية الجنوبية الغربية للمسجد ،ووقفنا إزاء نافذة عليها قضبان متوازية في الجوار الغربي، وقرأنا الفاتحة وتلونا التضرّعات ناظرين بتوقير إلى مجاز صغير كانت فاطمة الزهراء قد اعتادت الجلوس فيه لطحن الغلال بالرحى،لذا فان هذا المصلى (المسجد) يحمل اسم "ستّنا فاطمة" [٤] وقد وقف على الباب خادم ذو نظرة صارمة، يطلب دولاراً بأكثر أساليب العرب حسماً؛ لذلك فإنّنا لم ندخل[٥].

وإلى الجنوب من مسجد قباء يقع مسجد عرفات "لأنه حدث ذات مرة أن رسول الله ﷺ كان غير قادر على زيارة جبل عرفات في موسم الحج، فوقف في موضع هذا المسجد ورأى جبل عرفات من خلال الفضاء الكائن بين الموضعين، وبذلك أدى الرسول ﷺ فريضة الحج بالروح في هذا العام" [٦].

---

(١) الرحلة ١١٦/٢.

(٢) إشارة لقوله تعالى: "لا تقم فيه أبدا لمسجد أُسّس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهّروا والله يحب المطّهرين". (سورة التوبة، آية رقم ١٠٨).

(٣) الرحلة ١١٦/٢.

(٤) الجواهر الثمينة ق ٣١/ب؛ قال إبراهيم الصديقي: "ولعلّه يريد أماكن نزولهم قبل التحوّل للمدينة". (المناهل الصافية العذبة في بيان ما خفي من مساجد طيبة ق ٤، مكتبة عارف حكمت ٩٠٠/٢٢١؛ وقال إبراهيم رفعت: وفي غربي المسجد مسجد السيدة فاطمة الزهراء، عليه قبة تحتها مكان زعموا أنه الموضع الذي كانت تطحن فيه الشعير (مرآة الحرمين ٣٩٧/١).

(٥) الرحلة ١١٦/٢.

(٦) الرحلة ١١٧/٢، قال ابن جبير: هناك تل مشرف يعرف بعرفات، وسُمّي ذلك التل عرفات لأنه كان موقف النبي ﷺ يوم عرفة، ومنه زُويت الأرض فأبصر الناس بعرفات. وآثار هذه القرية المكرمة ومشاهدها كثيرة لا تُحصى. (رحلة ابن جبير ١٧٥).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

آخر زيارة هي إلى مسجد علي ﷺ، وكان يشبه الجحر شديد الحرارة [١]، وفي الطريق إلى شهداء أحد مررنا بالمستراح [٢]، وهو عبارة عن مبنى مربع ذي جدران صغيرة، مطلية باللون الأبيض، وفي جانب المبنى الخارجي المواجه للمدينة يوجد مقعد على شكل كرسي من الحجارة غير المصقولة، ويجلس الناس عليه ويرتّلون بعض التوسّلات والدّعوات [٣].

ويوجد إلى جوار الشهداء مسجد حمزة ﷺ، وهو يشبه المسجد النبوي، وهو مبنى مربع صغير ومتين، مُشيد من الحجارة المنحوتة، وله قبة تغطي البناء المنعزل في الجنوب من المسجد، بالإضافة للمئذنة المعتادة [٤]، ويوجد في الجناح الغربي زاوية (مصلى صغير) تابعة للصوفي الشهير الشيخ محمد السمان [٥] الذي

(١) الرحلة ١١٧/٢، قال السمهودي: والباب المسدود في غربي مسجد قباء هو بفناء دار سعد بن خيثمة، وهي في قبلة مسجد قباء، والجانب الذي يلي هذا الباب المسدود منها يدخله الناس للزيارة ويسمونه مسجد علي ﷺ. (وفاء الوفاء ٨١٢/٣؛ المدينة المنورة في رحلة العياشي ١٠٨؛ الجواهر الثمينة ق ٣١/أ).

(٢) هذه من التسميات اللاحقة، وقد وجدت العياشي قد أشار إليها بقوله: وفي الطريق إلى أحد عند آخر النخل مسجد صغير محوّط عليه بأحجار، يقال أن النبي ﷺ جلس فيه للاستراحة بعد الرجوع من أحد. (المدينة المنورة في رحلة العياشي ١٤٥).

(٣)الرحلة ١٢٨/٢.

(٤) عمّر أبو الأمير حسين بن أبي الهيجاء سنة ٥٨٠هـ مسجداً في نفس الموضع الذي استشهد فيه حمزة ﷺ وهو المسجد المعروف بالمصرع، ثم بنت أم الخليفة الناصر لدين الله سنة ٥٩٠هـ، مشهداً كبيراً على قبر حمزة ﷺ، وجعلت عليه باباً من ساج منقوش، وحوله حصناً، وعلى المشهد باب من حديد يفتح في كل يوم خميس، وقريب منه مسجد يذكر أهل المدينة أنه موضع مقتله. (ابن النجار، أخبار مدينة الرسول ٥٨؛ المطري٤٥؛ درر الفوائد ٦٤٥ - ٦٤٦)، ثم وسّع المسجد السلطان الأشرف قايتباي سنة ٨٩٠هـ (وفاء الوفاء ٩٢٣/٣)، قال العياشي: "والمشهد عليه قبة عالية متقنة، وبابه مصفّح بالحديد، وحوله بناء متّسع فيه بئر، وفيه أخلية للوضوء متصلة بالسطح... وفي خارج المشهد بئر أخرى كبيرة، وبإزائها صفة مسجد، وتحته ماجل ماء يُهبط إليه بدرج، وباب المشهد في سائر الأيام مقفل لا يفتح إلا يوم الخميس يأتي القيّم من المدينة بالقصد لذلك"(المدينة المنورة في رحلة العياشي ١٢٧).

(٥) كان صاحب طريقة صوفية، وله شهرة بين أهل المدينة، وقبره في البقيع هو وأولاده، وتقصد بالزيارة. (وصف المدينة المنورة ١١).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

كان بائعاً للسمن، ومن سلالته مرافقي الشيخ حامد [١].

كان الزحام شديداً من الحجاج، والصبية، والصبيات، والنسوة والعجائز من البدو وغيرهم، تجمعوا إما للتسول أو لصب المياه أو لبيع التمور [٢]، لقد كان الجميع بانتظار الحارس، وأخذنا في الدعوات وبعد ذلك "طلبنا من حمزة وصحبه المدد (المساعدة) في الحصول على الغفران، وأن نسعد في الدنيا والآخرة".

وقد ظهر مبعوث محمد خليفة المنحدر من سلالة العباس، والذي يحتفظ بمفتاح المسجد، ويتلقّى المنح والرسوم المالية من الزائرين [٣]، ويوجد مسجد فوق القبر أصغر من مسجد قباء، وقد عُلّقت عليه المصابيح [٤].

وفي رواق المسجد يرقد حمزة ﷺ، والقبر مُحدّب في قمته، ومحاط بحاجز خشبي، وبعد أن غادرنا المسجد كان لابد من دفع دولار للحارس، وذلك مقابل الشرف الذي حزته بدخول المسجد ،وقد وعدني الحارس بقراءة سورة ياسين والإخلاص [٥]!!!!

وهناك بجوار الجبل قبة تسمى (قبة الثنايا) أي قبة الأسنان الأمامية [٦]، وإلى اليسار من المحراب يوجد حجر مربع مدرج أسفل الجدار، حيث أراني الشيخ حامد أثر السن، وقام الشيخ حامد بتقبيل ذلك الأثر، وكذلك فعلت أنا [٧]، ثم

(١) الرحلة ١٣٠/٢.

(٢) الرحلة ١٣١/٢.

(٣) الرحلة ١٣١/٢.

(٤) الرحلة ١٣٢/٢.

(٥) الرحلة ١٣٣/٢.

(٦)الرحلة ١٣٣/٢.

(٧) الرحلة ١٣٤/٢ ، قال المطري: "وتحت جبل أحد من جهة القبلة لاصقا بالجبل مسجد صغير قد تهدم بناؤه يقال يقال إن النبي ﷺ صلى فيه الظهر والعصر يوم أحد بعد انقضاء القتال، وفي جبهة القبلة من هذا المسجد موضع منقور في الجبل على قدر رأس الإنسان يقال إن النبي ﷺ جلس على الصخرة التي تحتها، وكذلك

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ذهبنا إلى قبة المصرع (مصرع حمزة) وأنهينا إجراءات هذه الزيارة بالابتهال والتضرع وقراءة التشهد والفاتحة، كما يوجد على جبل أحد قبة هارون عليه السلام [١].

ومن عادات بعض أهل المدينة القيام بزيارة الشهداء كل يوم ثلاثاء، وفي شهر رجب يأتي الزوار بأعداد كبيرة من المدينة فينصبون خيامهم في السهل لمدة ثلاثة أيام يقضونها في الاحتفال والصخب من الصلاة والدعاء [٢].

شمالي المسجد غار في الجبل تقول عوام الناس إن النبي ﷺ دخله، ولا يصح ذلك، وكل هذا لم يرد به نقل فلا يعتمد عليه"(التعريف ٤٥؛ وابن النجار ٥٨)، وقال المجد معقبا: "كل ذلك مقالات يذكرها أهل المدينة لم يردْ بها نقل"(وفاء الوفاء ٨٤٨/٣)، قال العياشي: " وبين المسجد اللاصق بأحد والذي يقال له مسجد الفسح وبين مشهد حمزة في البيداء التي هناك مسجد صغير مبني بالحجارة المنحوته مرتفع عن الأرض أقل من قامة، يُصعد إليه بدرج غير مسقّف ولا مرتفع الحيطان يقال له مسجد الثنية. (المدينة المنورة في رحلة العياشي ١٤٣).

(١) الرحلة ١٢٧/٢، عن جابر بن عتيك قال رسول الله ﷺ: خرج موسى وهارون عليهما السلام حاجين أو معتمرين فلما كانا بالمدينة مرض هارون فثقل فخاف عليه موسى اليهود فدخل به أحد فمات فدفنه فيه. (ابن شبة، أخبار المدينة ٨٥/١ – ٨٦، تحقيق: فهيم شلتوت، ط١٤٠٢/٢هـ؛ السهيلي، الروض الأنف ١٥٩/٣، تعليق: طه عبد الرءوف، دار المعرفة، بيروت١٣٩٨هـ؛ ابن النجار ٥٠؛ المطري ٤٥)، الحديث ضعيف جدا كما قال ابن حجر (فتح الباري ٤٠١/٧)؛ وقال السمهودي: "بأحد شعب يعرف بشعب هارون، يزعمون أن قبر هارون عليه السلام في أعلاه، وهو بعيد حسّا ومعنى، وليس ثم ما يصلح للحفر وإخراج التراب، وفي أعلى أحد بناء اتخذه بعض الفقراء قريبا والناس يصعدون إليه، ولم يرد تعيين المحل الذي صعده النبي ﷺ من أحد"(وفاء الوفاء ٩٣٠/٣)، وقد قام بتخريج طرق الحديث والحكم عليها بالضعف، الرفاعي، أحاديث فضائل المدينة ٥٧٨، منشورات مركز خدمة السنة في الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١٤١٣/١هـ.

(٢) الرحلة ١٢٨/٢، هذه الزيارة تسمى الرجبية، يقول العياشي وهو شاهد عيان: "ولأهل المدينة موسم كبير في شهر رجب يحتفلون فيه بزيارة حمزة والشهداء ﷺ، يأتي الناس إليه من أقطار الحجاز، من مكة واليمن والطائف وينبع، فيُحشر هناك خلائق لا يحصون يقاربون ما يجتمع في موسم الحج. ويخرج أهل المدينة إلا القليل بأولادهم ونسائهم ويُخرجون معهم المضارب (الفرش) الحسان والخيام الكبار. ويخرج أمراء المدينة وعسكرها، وتُنصب الأسواق العظيمة هناك. يخرجون من أوائل رجب، ويتلاحق الناس كل على قدر حاله فيتكامل خروجهم في اليوم الثاني عشر، وهو اليوم المشهود عندهم ويوم الزينة. فلا يبقى بالمدينة إلا أهل

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الأعذار أو من شاكلهم، ويحصل هناك في تلك الليلة من أنواع اللهو والطرب، والرمي بالمدافع والمحارق، ويبيت الناس طول ليلهم ويومهم في القراءة والزيارة حول القبر، ويوقد هناك من الشمع شيء كثير. وأصحاب شيخنا القشاشي هم المتولون لوظيفة القراءة حول القبر، لا تنقطع القراءة الليل بأجمعه والنهار بتمامه، حكى لي أن بعض الفقهاء بالمدينة كان ينكر على أهل المدينة خروجهم الى أحد في رجب ويقول لهم: إن ذلك من البدع المذمومة لما يحصل في ذلك من أنواع اللهو والسرف في المطاعم وغيرها، والتكلّف في النفقات، والخروج من المدينة بالأهل والأولاد والخيم الشبيه بشد الرحال، بل هو مع ما في ذلك من التشبّه بمواسم الحج في الهيئة واعتقاد القربة واعتبار يوم في السنة، إلى غير ذلك من الأمور التي لا توافق ظاهر الشرع، وكان ذلك الفقيه لا يخرج معهم إذا خرجوا ويشدّد النكير عليهم في ذلك. فبينما هو ذات يوم من الأيام – التي تهيأ الناس فيها للخروج – جالس في الروضة أو قريبا منها إذ غلبته عيناه فرأى النبي ﷺ وهو يدخل ويخرج من الحجرة، ويقوم ويقعد كفعل المتهيئ لسفر وأثاث السفر معدّة بين يديه، فقال له: يا رسول الله ما هذا الذي أرى؟ فقال: لا، إنما نريد الخروج لزيارة عمّنا حمزة مع أهل المدينة، أو كلاماً هذا معناه. فانتبه الفقيه من نومه، وتهيأ للخروج مع الناس، فعجبوا من ذلك وسألوه، فأخبرهم بذلك". (المدينة المنورة في رحلة العياشي ١٢٥ – ١٢٩)، "ولما كان أول رجب جعل الناس يقدمون من أقطار الحجاز كمكة واليمن والطائف ونجد وجدّة وما والاها من أطراف اليمن لشهود الرجبية وزيارة سيد شهداء حمزة ﷺ فما من يوم إلا وتدخل فيه قافلة من مكة ونواحيها، وقدم شيخنا الشيخ عيسى الثعالبي بأولاده، وقدم معه جماعة من المغاربة المجاورين بمكة، وجماعة من طلبة مكة كأولاد شيخنا قاضي المالكية بمكة تاج الدين، وقدم جماعة من أصحاب شيخنا القشاشي كصاحبنا العلامة حسن العجيمي، وفقيه من فقهاء الحنفية يُسمّى الزنجبيل والشبخ حسن الدهّان، وهو من أصحاب شيخنا القشاشي. ولم يزل الناس يتلاحقون، فخرج أهل المدينة إلى أحد من اليوم الخامس والسادس من الشهر، ورجعوا في اليوم الثاني عشر، ولم يبق بالمدينة إلا القليل... وبعد الرجوع من أحد نزل الوافدون بالمدينة ينتظرون الرجبية وهي ليلة سبع وعشرين منه ليلة المعراج. وقدم خلق كثير من الأعراب وكانت بالمدينة سوق عظيمة، وامتلأ المسجد وجوانبه، فما من يوم إلا ويزداد الخلق فيه كثرة، وأكثرهم عرب جفاة ليس لهم دين ولا مذهب، جلّهم من لا يعرف صلاة وصوماً. فتدخل جماعة منهم المسجد غاسلين أطرافهم يريدون الصلاة على زعمهم، فيقف أحدهم ملياً، ثم يسجد على قدر ما يرى إما ثمان سجدات أو عشر سجدات أو أكثر على حسب نشاطه، ثم ينصرف. وغالبهم على هذا الوصف، ومنهم أفراد يدينون دين الحق، وسلامهم على النبي ﷺ: حيّا الله محمد، رافعين بها أصواتهم، فإذا كانت الليلة السابعة والعشرون تكامل حشد الناس، فمن لم يدخل المسجد من قريب العصر قلّما يجد موضعا لصلاة المغرب والعشاء، فيغصّ المسجد بمن فيه، ويُفتح الحرم طوال الليل، ويبيت الناس في ذكر وقراءة وصلاة، كلّ حسب ما يسنح له إلى الصباح، فإذا أصبح الناس أخذ الأعراب في التوديع، فيُسمع لهم حنين كحنين الإبل في المسجد وصياح وصراخ رافعين أصواتهم

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وعندما ظهر الكوكب المتألق ذي الذنب في أفق السماء الغربي تنبأ أهل المدينة بالطاعون والفواجع [١].

لقد سوّى سعود السلفي وأتباعه الآثار القديمة في البقيع بالأرض وشن حرباً مريرة ضد الأضرحة الفخمة، ولكن أقيمت من جديد بأمر السلطان عبد الحميد والسلطان عبد المجيد [٢].

بالصلاة على النبي ﷺ والاستغاثة به، فيرقّ قلب سامعهم ويحنّ ويشفق لهم على جفائهم وجهلهم، فلا يأتي مساء ذلك اليوم حتى لا يبقى بالمدينة منهم إلا القليل، وعسى الله أن ينفعهم بحسن نيّاتهم"(المدينة المنورة في رحلة العياشي ٢٣٨ – ٢٣٩).

(١) الرحلة ١٦٢/٢.

(٢) يتضح بجلاء – من خلال ما ذكره بيرتون - الوضع الذي وصلت إليه الأمة في عبادتها ومعتقداتها، وكأن الناس في المدينة ليس لهم سوى العكوف على القبور، وإقامة المشاهد، والتوسل بغير الله، وممارسة عبادات لا يقبلها عقل ولا منطق فضلا عن الدين كما الشأن في الزيارة الرجبية، وغيرها في المدينة، هناك سؤال في غاية البساطة والوضوح: هل كان النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون، وفقهاء الصحابة ومن بعدهم من التابعين أقاموا هذه المشاهد على القبور أو عكفوا عليه طالبين منها الواسطة مع الله، لكي يُرزقوا ويُمطروا ويُشفوا من المرض وغير ذلك؟

إن الإجابة البسيطة والواضحة أيضا: أنه لم يكن شيء من ذلك على الإطلاق، ومن هنا قال ﷺ: خير القرون قرني هذا ثم الذي يليه ثم الذي يليه (البخاري مع الفتح) إن الجمود الفكري والتعصب المذهبي، وإغفال التفكير والتحقيق جعل الأجيال المتعاقبة تستسيغ البدعة، ثم تجعلها من صميم الدين، حتى وصلوا إلى تحقيق قوله تعالى +إنا وجدنا آبائنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون".

في عصور الجهل والانحطاط ظهر بعض العلماء الصالحين الصادعين بالحق في وجه الأعراف والتقاليد التي أصبحت دينا يُتقرّب به إلى الله، وجلّ ما طالب به هؤلاء المصلحون هو الرجوع إلى معين النبوة الصافي، واستبعاد ما كدّر هذا المعين، ومن هؤلاء الشيخ: محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، الذي آلمه هذه المناظر وعكوف الناس على القبور وطلب الرزق والولد والشفاء من صاحب القبر، وصرفوا جناب التوحيد العظيم من الله سبحانه إلى عبيد تحوّلوا إلى تراب في قبورهم، وان الإنسان ليعجب: أن عاقلاً يطلب من ميت الحياة!

لقد أدرك الشيخ محمد بن عبد الوهاب – بعد رحلاته في طلب العلم لكل من مكة والمدينة والعراق والأحساء - ما وصلت إليه أمة المسلمين من ترد في الجهل والشرك، وعرف أن الداء يكمن في أمرين: الأول: ضياع توحيد الله وإفراده بالعبادة، والثاني: الجمود والتقليد، وإقفال باب الاجتهاد.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بدأ الشيخ في مشروعه الإصلاحي العظيم ولم يبال بقوى الشر والظلام، وانتشر صيته من خلال حربه على بقايا الوثنية والشرك، فأوذي وأخرج من بلده حتى وجد النُّصرة من الإمام محمد بن سعود في الدرعية عام ١١٥٧هـ، وبدؤوا في تبليغ الناس الدعوة، وإزالة القبور ومظاهر الشرك، واستطاعت هذه الدعوة أن تصل إلى الحجاز، حيث دخل الإمام سعود بن عبد العزيز مكة سنة ١١١٧هـ، قال ابن بشر: ثم إن الإمام سعود بن عبد العزيز ومن معه دخل مكة محرماً واستولى عليها، وأعطى أهلها الأمان وبذل فيها من الصدقات والعطاء لأهلها شيئا كثيراً، فلما فرغ سعود ومن معه من الطواف والسعي تفرّقوا يهدمون القباب التي بنيت على القبور والمشاهد الشركية، وكان في مكة من هذا النوع شيء كثير في أسفلها وأعلاها ووسطها وبيوتها، ولبثوا بضعة عشر يوماً وهم يهدمون القباب، حتى لم يبق في مكة شيئاً من تلك المشاهد والقباب إلا أعدموها وجعلوها ترابا. (عنوان المجد ١/١٢٣ – ١٢٤، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض).

وأما المدينة فقد دخلت صلحاً بعد حصار استمر أكثر من سنتين وكان ذلك في عام ١٢٢٠هـ، وهُدمت جميع القباب التي وضعت على القبور والمشاهد، ماعدا قبة الرسول صلى الله عليه وسلم. (المصدر السابق ١/١٣٧؛ الجبرتي، عجائب الآثار٣/٩١، دار الفارس، بيروت) لقد رمى أعداء الدعوة بأمور لم تكن فيها، ولعل في رد الشيخ على أولئك المعاندين ما يوضح معتقد الشيخ وردّه على تلك الافتراءات، فقد قال في إحدى رسائله: "أشهد الله ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت... وأومن بحوض نبينا محمد ﷺ... وأومن بشفاعته النبي ﷺ وأنه أول شافع وأول مشفّع، ولا ينكر شفاعة النبي ﷺ إلا أهل البدع والضلال... وأومن بأن نبينا محمدا ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، وأن أفضل أمته أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضي، ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر... وأترضّى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء، وأقرّ بكرامات الأولياء وما لهم من المكاشفات إلا أنهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئاً، ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله، ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله ﷺ، ولا أكفّر أحداً من المسلمين بذنب، ولا أخرجه من دائرة الإسلام... وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا، وأحكم عليهم بالظاهر وأكل سرائرهم إلى الله، وأعتقد أن كل محدثة في الدين بدعة... وقالوا: إني مبطل كتب المذاهب الأربعة، وإني أقول إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء، وإني أدعي الاجتهاد... وإني أكفّر من توسّل بالصالحين، وإني أكفّر البوصيري لقوله يا أكرم الخلق، وإني أقول لو أقدر على هدم قبة رسول الله ﷺ لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب، وإني أحرم زيارة قبر النبي ﷺ، وإني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما، وإني أكفّر من حلف بغير الله، وإني أكفّر ابن الفارض وابن عربي، وإني أحرق دلائل الخيرات وروض الرياحين وأسمّيه روض الشياطين. جوابي عن هذه المسائل أن أقول سبحانك هذا بهتان عظيم، وقبله من بهت محمداً ﷺ أنه يسب عيسى ابن مريم ويسب الصالحين فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور.. ". (مؤلفات الشيخ

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

محمد بن عبد الوهاب، جمع وتصحيح عبد العزيز الرومي وآخرون، القسم الخامس/٨ – ١٣، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود).

وهذا الجبرتي العالم الأزهري المنصف، كان معاصراً للدعوة، ينقل في كتابه رسالة علماء الدعوة بعد دخولهم إلى مكة، وبيّنوا فيها أتم إيضاح معتقدهم ومنهجهم وفيها: "... فمعلوم ما عمّت به البلوى من حوادث الأمور التي أعظمها الإشراك بالله والتوجّه إلى الموتى وسؤالهم النصر على الأعداء وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها إلا رب الأرض والسماوات وكذلك القصد إليها بالنذور، وذبح القربان، والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد، إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله، وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها، لأنه سبحانه وتعالى أغنى الأغنياء عن الشرك، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا... وأما ما حدث من سؤال الأنبياء والأولياء من الشفاعة بعد موتهم، وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها، وإسراجها والصلاة عندها، واتخاذها أعيادا، وجعل السدنة والنذور لها فكل ذلك من حوادث الأمور التي أخبر بها النبي ﷺ أمته وحذّر منها... وهو ﷺ حمى جناب التوحيد أعظم حماية، وسد كل طريق يؤدّي إلى الشرك، فنهى أن يجصّص القبر وأن يبنى عليه، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر ﷺ، وثبت فيه أيضا أنه بعث علي بن أبي طالب ﷺ وأمره أن لا يدع قبرا مشرفا إلا سوّاه، ولا تمثالا إلا طمسه، ولهذا قال غير واحد من العلماء يجب هدم القباب المبنية على القبور لأنها أُسّست على معصية الرسول ﷺ، فهذا الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس حتى آل بهم الأمر إلى أن كفّرونا وقاتلونا واستحلّوا دماءنا وأموالنا، حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم، وهو الذي ندعو الناس إليه ونقاتلهم عليه، بعدما نقيم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع السلف الصالح من الأمة، ممتثلين لقوله سبحانه وتعالى: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله"، فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان قاتلناه بالسيف والسنان، كما قال تعالى: " لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس" وندعو الناس إلى إقامة الصلوات في الجماعات على الوجه المشروع، وإيتاء الزكاة، وصيام شهر رمضان، وحج بيت الله الحرام، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، كما قال: " الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور" فهذا هو الذي نعتقده وندين الله به، فمن عمل بذلك فهو أخونا المسلم له ما لنا وعليه ما علينا، ونعتقد أيضا أن أمة محمد ﷺ المتبعين للسنة لا تجتمع على ضلالة وأنه لا تزال طائفة من أمته على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك"

قال الجبرتي معقّبا: " إن كان كذلك فهذا ما ندين الله به ونحن أيضاً، وهو خلاصة لباب التوحيد، وما علينا من المارقين والمتعصبين، وقد بسط الكلام في ذلك ابن القيم في كتابه إغاثة اللهفان، والحافظ

المقريزي في تجريد التوحيد، والإمام اليوسي في شرح الكبرى، وشرح الحكم لابن عباد، وكتاب جمع الفضائل وقمع الرذائل، وكتاب مصايد الشيطان، وغير ذلك ". (عجائب الآثار٢/٥٩١).

فارق كبير بين من تحركه الأغراض الشخصية والطموح الدنيوي، وبين من يعيش من أجل مبدأ يسعى إلى تحقيقه، كما كان الحال مع الأئمة آل سعود وتلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله.

قال الجبرتي واصفاً دخولهم مكة وأعمالهم العظيمة: "وفي هذه الأيام أيضاً وصلت الأخبار من الديار الحجازية بمسالمة الشريف غالب للوهابيين، وذلك لشدة ما حصل لهم من المضايقة الشديدة وقطع الجالب عنهم من كل ناحية... فلم يسع الشريف إلا مسالمتهم والدخول في طاعتهم، وسلوك طريقتهم وأخذ العهد على دعاتهم وكبيرهم بداخل الكعبة، وأمر بمنع المنكرات والتجاهر بها، وشرب الأراجيل بالتباك في المسعى وبين الصفا والمروة، وبالملازمة على الصلوات في الجماعة، ودفع الزكاة وترك لبس الحرير، والمُقصبّات وإبطال المكوس والمظالم، وكانوا خرجوا عن الحدود في ذلك حتى إن الميت يأخذون خمسة فرانسة وعشرة بحسب حاله، وإن لم يدفع أهله القدر الذي يتقرّر عليه فلا يقدرون على رفعه ودفنه، ولا يتقرب إليه الغاسل لغسله حتى يأتيه الإذن وغير ذلك من البدع والمكوس والمظالم التي أحدثوها على المبيعات والمشتروات على البائع والمشتري، ومصادرات الناس في أموالهم ودورهم، فيكون الشخص من سائر الناس جالساً بداره فما يشعر على حين غفلة منه إلا والأعوان يأمرونه بإخلاء الدار وخروجه منها، ويقولون إن سيد الجميع (لقب أمير مكة من الأشراف) محتاج إليها فإمّا أن يخرج منها جملة وتصير من أملاك الشريف، وإما أن يُصالح عليها بمقدار ثمنها أو أقل أو أكثر، فعاهده على ترك ذلك واتباع ما أمر الله تعالى به في كتابه العزيز من إخلاص التوحيد لله وحده واتباع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام وما كان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون إلى آخر القرن الثالث، وترك ما حدث في الناس من الالتجاء لغير الله من المخلوقين الأحياء والأموات في الشدائد والمهمات، وما أحدثوه من بناء القباب على القبور والتصاوير والزخارف وتقبيل الأعتاب والخضوع والتذلل والمناداة والطواف والنذور والذبح والقربان، وعمل الأعياد والمواسم لها، واجتماع أصناف الخلائق واختلاط النساء بالرجال وباقي الأشياء التي فيها شركة المخلوقين مع الخالق في توحيد الألوهية التي بعثت الرسل إلى مقاتلة من خالفها ليكون الدين كله لله، فعاهده على منع ذلك كله، وعلى هدم القباب المبنية على القبور والأضرحة، لأنها من الأمور المحدثة التي لم تكن في عهده بعد المناظرة مع علماء تلك الناحية وإقامة الحجة عليهم بالأدلة القطعية التي لا تقبل التلون من الكتاب والسنة، وإذعانهم لذلك، فعند ذلك أمنت السبل، وسلكت الطرق بين مكة والمدينة، وبين مكة وجدة والطائف، وانحلت الأسعار، وكثر وجود المطعومات، وما يجلبه عربان الشرق إلى الحرمين من الغلال والأغنام والأسمان والأعسال، حتى بيع الأردب من الحنطة بأربع ريالات، واستمر الشريف غالب يأخذ العشور من التجار، وإذا نوقش في ذلك يقول: هؤلاء مشركون وأنا آخذ من المشركين لا من الموحدين!!! (عجائب الآثار ٣/١١٦ – ١١٧).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لقد دخلنا ضريح عثمان بن عفان في البقيع،ودفعنا عشرة قروش لخادم الضريح [١].

والبقيع يعج بالمتسولين والمتسولات [٢].

لقد تجمع الفرس حول قبر فاطمة والحسن وبعض بني العباس بشكل هائل يبكون وينتحبون [٣].

(١) الرحلة ١٦٥/٢، البقيع: يقع إلى الشرق من المسجد النبوي، كان مليئا بنبات الغرقد، وهي نبتة قريبة من العوسج، أول منْ دُفن فيه من أصحاب رسول الله ﷺ عثمان بن مضعون، ثم دَفن رسول الله ﷺ ابنه إبراهيم بجوار ابن مضعون، فبدأ الناس يقطعون الغرقد ويدفنون موتاهم فيه، قال ابن النجار: واعلم أن أكثر الصحابة ﷺ مدفون بالبقيع، وكذلك جميع أزواج النبي ﷺ سوى خديجة، فإنها بمكة مدفونة، وبالبقيع سادة من التابعين ومن بعدهم من الزهاد والعلماء والمشهورين إلا أن قبورهم لا تعرف في يومنا هذا، وليس في يومنا هذا معيّن إلا تسعة قبور: قبر العباس بن عبد المطلب وعليه طين و ساج؛ وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب مدفون بجانب أمه فاطمة، ومعه في القبر ابن أخيه علي بن الحسين زين العابدين؛ وأبو جعفر محمد بن علي بن الباقر وأبوه جعفر الصادق، والقبران في قبة كبيرة عالية قديمة البناء في أول البقيع، وعليها بابان يفتح أحدهما في كل يوم للزيارة؛ وقبر صفية بنت عبد المطلب في تربة في أول البقيع؛ وقبر عقيل بن أبي طالب في قبة في أول البقيع ومعه في القبر ابن أخيه عبد الله بن جعفر الطيار؛ وقبور أزواج النبي ﷺ وهن أربعة قبور ظاهرة ولا يعلم تحقيق ما فيها منهن؛ وقبر فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب في قبة في آخر البقيع؛ وقبر عثمان بن عفان وعليه قبة عالية وهو قبل قبة فاطمة بنت أسد بقليل وحوله نخل؛ وقبر مالك بن أنس إمام دار الهجرة في أول البقيع على الطريق، فهذه القبور المشهورة والباقي سبخة لا يعرف فيها قبر أحد بعينه. (أخبار مدينة الرسول ١٥٣ – ١٥٦)، ولقد ذكر ابن جبير مقابر بعض الصحابة فأعرضت عن ذكرها لأنه لم يطل المقام في المدينة، رحلة ابن جبير١٧٣ - ١٧٤)، قال المطري: والقبة التي على قبر علي بن الحسين زين العابدين وابنه الباقر وابنه جعفر الصادق قبة عالية البناء بناها الخليفة الناصر أبو العباس أحمد بن المستضيء؛ وقبة عالية على قبر عثمان بن عفان ﷺ بناها أسامة بن سنان الصلاحي أحد أمراء صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة إحدى وستمائة؛ وقبر إسماعيل بن جعفر الصادق في مشهد كبير مبيض غربي قبة العباس ﷺ بناه بعض ملوك مصر العبيديين. (التعريف ٤٣ – ٤٤؛ وانظر تحقيق النصرة ٢٠٠ – ٢١٠؛ وفاء الوفاء ٨٨٣/٣ – ٩٢١؛ درر الفوائد ٦٤٢ – ٦٤٥؛ المدينة المنورة في رحلة العياشي ٨٧ -٩٨).

(٢) الرحلة ١٦٨/٢.

(٣) الرحلة ١٦٩/٢ -١٧٠، قال العياشي: لما قدم ركب أهل العراق وكان أغلبهم شيعة بل كلهم، وكانوا يُكثرون زيارة مشهد إسماعيل بن جعفر الصادق، وكانوا يأتون إليه أفواجا قلّما ينقطع زائرهم منه أيام إقامتهم بالمدينة... ومن عَلم أحوال الأئمة من أهل البيت وأسلافهم وأولادهم ﷺ، وعلم ما كانوا عليه من

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الأمن في المدينة حينما عزمنا على زيارة شهداء معركة أحد ركبنا حميرنا وتسلحنا بالمسدسات والسكاكين [١]، كان القلق العام يزداد بسبب عدم استقرار الأوضاع في المناطق المحيطة بالمدينة[٢]، لقد شبت حرب هائلة مابين قبيلتي الحوازم والأحامدة [٣]، ويقدر عدد الأحامدة مابين ٣ -٤ آلاف مقاتل، والحوازم ٧٠٠ مقاتل وهم انتحاريون يقاتلون قتال المتهور اليائس.

ولقد انقضوا على جناحي عدوّهم المتفوّق عدداً ،تحت قيادة شيخيهما الدمويين عباس وأبي علي، وسبب الحرب يعود إلى خلاف بين رجلين أحدهما حازمي والآخر أحمدي.

استمرت الحرب لبضعة أيام، وكان صوت إطلاق النار يُدَوِّي في الجبال ويُسمع بوضوح في المدينة ،لقد رأيت البدو في المدينة مُهتاجين هياجاً شديداً، كل واحد يحمل سلاحه ويريد أن يشترك في هذه المعركة، توقّف القتال بعدما فقد الجانبان عشرة رجال [٤].

تعظيم السنة، ووفور العلم وتعظيم أصحاب جدّهم صلى الله عليه وسلّم عَلم براءة ساحتهم من كذب هؤلاء وافترائهم عليهم، أحاديث ما أنزل الله بها من سلطان، ولا جاء بها في سنة نبيه من بيان. (المدينة المنورة في رحلة العياشي ٩٥ – ٩٦).

(١) الرحلة ١٢٥/٢، قال العياشي وهو يتحدّث عن الرجبية: " وخرج العسكر لحراسة الطرقات من المدينة الى أحد " (المدينة المنورة في رحلة العياشي ٢٣٩).

(٢) الرحلة ١٢١/٢.

(٣) هاتان القبيلتان جزء من القبيلة الأم قبيلة حرب. ومساكنهم وادي الصفراء حيث الطريق إلى مكة.

(٤) الرحلة ١٦٢/٢، هذا هو حال الجزيرة العربية منذ نهاية القرن الثاني الهجري، ولم يستطع الأشراف حكام مكة والمدينة أن يبسطوا الأمن خارج حدود مكة والمدينة، حتى قيّض الله لهذه البلاد الأسرة السعودية التي آزرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأصبح هناك هدف يسعون إليه، وهو إقامة شعائر الله في الأرض، فحقّق الله لهم ما يصبون إليه فعمّ البلاد ولله الحمد الأمن والإيمان ورغد العيش. أسأل الله أن يتمّ ويمدّ نعمه.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لقد وضعت هذه المعركة التي دارت بين الحوازم والأحامدة نهاية لأي توان محتمل لمواصلة رحلتي إلى مسقط كما كنت أنوي، لقد أَلقى الوضع الأمني بظلاله على كل شيء، حتى أصبح الوصول إلى خيبر تكتنفه الصعاب والمخاطرة [١].

كان مُقرراً أن تنطلق قافلة الحج الشامي في ٢٧ ذي القعدة (الموافق للأول من سبتمبر) وقد كنت أنوي أن أمكث في المدينة حتى آخر لحظة، وأن ألتحق بالقافلة الطيّارة – سمّيت بذلك لخفّة حمولتها، وسرعة سيرها - التي تغادر المدينة عادة في اليوم الثاني من ذي الحجة أي بعد يومين من رحيل قافلة الحج الشامي [٢].

وفجأة ثار لغط مؤدّاه أنه ليس هناك قافلة طيارة، وليس من سبيل للسفر إلى مكة إلا مع القافلة الدمشقية،أو ينتظروا قافلة الركب وهي قافلة جمال يتحتّم على الملتحق بها أن لا يحمل سوى خرجيه؛ وتسلك هذه القافلة طريق الخبط وتصل إلى مكة في اليوم الخامس.

لقد باءت محاولات الشريف زيد بالفشل مع الشيخ سعد عودة لأنه يطالب بالشّيخة مرة أخرى، وهدّد بقتل كل من يمر في دياره [٣].

---

(١) الرحلة ١٦٢/٢ -١٦٣.

(٢)الرحلة ١٧٥/٢.

(٣) الرحلة ١٧٥/٢، لا ينزل بلاء إلا بذنب ولا يرفع إلا بتوبة، لقد أهملت الدول المتعاقبة الجزيرة العربية ومنها بلاد الحجاز، وانشغلت السلطات المحلية بالتقاتل على الفتات المرسل من تلك الدول، ولم تتجاوز هممهم حكم ما هو خارج نطاق مكة والمدينة، وجعلوا الناس خارج المدينتين المقدّستين يأكل بعضهم بعضا، فَتسلّط أولئك المحرومون على مصالح الدول الحاكمة، ولمّا كان الجهل فاشيا ظن أولئك أن هؤلاء الحجاج جزءً من الدولة، فكان همّهم سلب ما يمكن سلبه من الحجاج القادمين من بلاد الرخاء والثراء، كما أن الدولة المملوكية ومن بعدها العثمانية قد حدّدت لكل قبيلة تقوم بحفظ الحجاج في ديار ها مبلغا معلوما من

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولم يعد أمام الحجاج إلا السفر عن طريق الدرب الشرقي وليس فيه ماء لمدة ثلاثة أيام، هناك أربع طرق تؤدي من المدينة إلى مكة، وهي:

١ - الدرب السلطاني الذي يتبع الساحل [١].

٢ - الطريق الجبلي وهو طريق يتجنبه المحمل والقوافل بسبب ممراته الوعرة، ويمر بقرب جبل صبح [٢].

٣ - الطريق المسمى طريق وادي القرى، ملائم لقوافل الجمال، وفيه بعض القرى، ولا تدفع القوافل شيئاً، ويمر عبر قبيلة بني عامر [٣] (لعلها قبيلة

المال، فيكون في بعض السنين تلاعب من قبل أمير الحج ومعاونيه، فتنتفض القبيلة وتقوم بقطع الطريق كما حدث مع أمير قبيلة الأحامدة هذا. (انظر لمزيد من الإيضاح: الجزيري، درر الفوائد ٤٩٦ – ٤٥١؛ مرآة الحرمين ٣٧/٢ – ٣٦٠).

(١) أطلق عدة أسماء على هذا الطريق في القرون الإسلامية الأولى منها: طريق المحجّة (ابن سعد ١٥٤/٣، معجم البلدان ٨٣٣/١) وطريق الجادة (معجم البلدان ٧٤٦/٢)؛ والطريق الأعظم(البكري، معجم ما استعجم ١٢٥٦)؛ والطريق المعتدلة (معجم البلدان ٧٤٦/٢)، ومن الملاحظ أن هذه المصادر لم تذكر اسم الطريق السلطاني الذي جاء متأخرا مع لقب سلطان المماليك، ومن بعدهم سلاطين العثمانيين، ومنازل هذا الطريق: المدينة المنورة – السيّالة – الرّوحاء – الرويثة – السُّقْيا – الأبواء – الجحفة – قديد – عسفان – بطن مرّ - مكة. (اليعقوبي، البلدان ٣١٢ – ٣١٤؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة ١٧٧ – ١٧٨؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك ١٣٠ – ١٣١؛ قدامة بن جعفر، الخراج ٨٠؛ الاصطخري، مسالك الممالك ٢٧؛ البكري، معجم مااستعجم ٩٥٤ – ٩٥٦؛ الشريف الادريسي، نزهة المشتاق ١٤١/١ – ١٤٢؛ مرآة الحرمين ١٩٩/٢ - ٢٠٦).

(٢) وهو طريق الغاير ويعرف بطريق القاحة: ويبدأ من رابغ أو مستورة، ويقطع جبل الغاير إلى الشمال وهو أقل هذه الطرق مسافة، فإذا وصل المسافر الى الغاير صعد عقبة عالية تشرف على هاوية عميقة، طريقها ضيق جدا بحيث لا يسع إلا دابّة دابّة، وهذا الطريق خطر في صعوده وهبوطه وخصوصا على الركاب، ومسافة الصعود الى ظهر العقبة ست ساعات، ويسكن الغاير ومنحدراته اللهبة ومسروح، ويسمى بالطريق المدني، لان أهل المدينة في حجّهم يستسهلونه لقربه، وكذلك أهل مكة في زيارة المدينة عند الرجبية. (البتوني، الرحلة الحجازية ٢١١ – ٢١٢؛ علي بن موسى، وصف المدينة المنورة ٨).

(٣) ويسمى بالطريق الفرعي: ويبدأ من رابغ متّجها إلى الشمال الشرقي، ويمر عبر المحطات الآتية: وادي حرشان، نقر الغار: وهو محجر ضيّق منحدر تمر معه الجمال جملا جملا ويسكنه بنو سالم، بئر رضوان، بئر أبو

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بني عمرو وهم من أكبر أفرع قبيلة حرب).

٤ - الدرب الشرقي وهو الذي سلكته [١]، ويعود لجهود السيدة زبيدة امرأة الخليفة العباسي هارون الرشيد [٢].

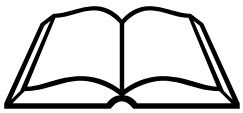

ضباع أو أم ضباع يسكنها بنو عوف، وادي الريّان ويسكنه بنو عمرو، الغدير، وادي المعظّم، بئر الماشي (حيث يلتقي مع طريق الغاير)، آبار علي، المدينة. (المصدر السابق ٢١٠ – ٢١١؛ وصف المدينة المنورة ٨).

(١) الرحلة ١٨١/٢، الطريق الشرقي: يخرج من مكة باب المعلاه ويتجه إلى البيّاضيّة ثم يسير في طريق شمال طريق منى ويتجه إلى الشرق ويمر عبر المحطات الآتية: بئر البرود، وادي الليمون، الحفاير، بركة سمرة، بركة المسلح، الحبيط، صفينة، السويرقية، الحجرية، غُرابة، الغدير(الخنق)، سيد الشهداء حمزة، المدينة المنورة(مرآة الحرمين ٣٦٩/١ – ٣٨٢؛ الرحلة الحجازية ٢١٢ – ٢١٣).

(٢) لم تعمل هذا الطريق السيدة زبيدة – رحمها الله تعالى – ولكن هذه السيدة الجليلة قد عمّرت طريق الحاج العراقي، والذي يتقاطع مع هذا الطريق في صفينة والسويرقية. (وكيع، المناسك ٨٨ – ٩٣؛ تحقيق: عبد الله الوهيبي، مطبوعات دار اليمامة، الرياض، ط٢/١٤٠١هـ).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة